احلام الطفولة – كشف الحقيقة

العابث الاول في هذا القرن (ع.غ)

مقدمة:

وكما قلت سابقا انا عابث ولاتنتظر منـي مقدمة.

ملخص الرواية السابقة:

حدثت مشكلة في المدرسة ، ادت نتائجها الى هروب انيس مع صديقه لؤي الى الغابة ، عاشوا هناك احلا المغامرات ، بعدها عادوا وكأن هناك من خطفهم ، وبقيت كذبتهم حتى هذا اليوم .

الفصل الاول

مبادلة

"انيس"

مرحبا ، انا انيس ، الرواية السابقة رواها لكم المؤلف ،و اقولها مرة واحدة ،كم كانت حبكتها بشعة ، اما الان فقد اصبحت كبيرا وانا من سيرويها ، ولكي اكون صريحا، فقد اخبرته بالحقيقة وهي ان روايته السابقة كانت رديئة ، لأنني طلبت منه ان يحدث فيها بعض الفانتازيا وشيء من هذا القبيل واقترحت ايضا ان يجعلني شجاعا ولا ابالي بالمخاطر، وطلبت ايضا ان يظهر انني تعرفت على احد الجن ، او يقرصني عنكبوت ويصير لدي بعض القوى الخارقة ، ولكنه رفض ، وقال ببساطة : انا لا احب الاوهام .

حسنا ، اتمنى الآن ان يكون سعيدا بتحطيمه احلامي عند هذا الحد ، ولكن لحسن الحظ انه لم

يذكر خوفي من احد صراصير الليل ، صدقوني ، شكلها مرعب عندما تهبط على وجهك .

لقد قام بنشرها وانتهى الامر ، ربما تودون ان تعرفوا كيف تعرفت عليه ، في الحقيقة ، انا لا اعرفه ولم اره ، ولكنني تعرفت عليه عبر شبكات التواصل الاجتماعي ، بادئ الامر عندما سألته عن اسمه لم يرد ان يخبرني به ، ولكن بعد كثرة المحادثات بيننا اعلمني باسمه الاول ، واخبرني الا اخبر احدا به ، وانتم تعلمون كم انا وفي بوعودي.

اتعلمون ، لقد مرت سنتان على تلك المغامرة ، والآن انا انتظر منه ان يرسل لي رسالة طويلة اريد ان اطبعها ، في السابق ..علمت انه يعيش على بعد كيلومترات من بئر سيدنا يوسف ويمكنه الذهاب اليه سيرا على الاقدام لمدة تصل لنصف ساعة ، سألته كم مرة زار ذلك البئر ، وتوقعت ان يقول كثيرا ، ولكنه صدمني عندما قال : مرة واحدة فقط ، فسألته :لماذا ؟. قال لي :الطريق متعبه والامر لا يستحق ، بالاضافة

الى انه فارغ ولم يعد يحتوي على المياه كما عهده الجيل السابق .

لم اتخيل ان بئر يوسف بقي يخرج المياه حتى هذا العصر ، فسألته عن سبب انقطاع المياه ، قال :قاموا بحفر آبار بأماكن قريبة منه ، ما ادى الى انقطاع مياهه .

واخبرني ايضا ان المستوطنين يزورونه بكثرة فالبئر مقدس عند اليهود ...، وارجو الا تحاولوا البحث عن البئر في خرائط غوغل ،فتكتبوا "بئر يوسف" ، لأنه مسجل بالاسم الذي يناديه فيه السكان المحليون ، وصدقوني ،معظمهم لا يبدي اهتماما بذلك البئر ،حسنا ،فلنتوقف عند هذا الحد ولنكمل الحديث عن هذا الموضوع لاحقا.

هل تتذكرون المجوهرات التي اخذناها من اللصين ، انا الآن اقوم بوضعها داخل حقيبتي وبعد ان تصل الرسالة سأهرب من هذا البيت ، من المؤكد انكم تريدون معرفة السبب ، لهذا سأخبركم بالقصة كاملة .

الفصل الثاني

البداية

بعد ان عدنا من البرية وكما تعلمون ، لقد تم استقبالنا كالابطال ، كانت المدرسة لا تزال مفتوحة ولن تغلق ابوابها قبل الصيف ، كان هذا امرا شاقا علي ، فأنا البطل انيس، اذهب الى المدرسة ؟؟!، فقلت للؤي :

-اسمع ، هل تريد ان تغيب عن المدرسة لمدة شهر .

-نعم ، طبعا .

-اذاً ،فلنقنع اهلنا اننا غير معتادون بعد على هذه الحياة ونحتاج شهرا على الاقل حتى نتأقلم في بيوتنا ، والذهاب الى المدرسة مرة واحدة سيحدث صدمة كبيرة لنا .

وافقني لؤي الرأي وطلبنا من آبائنا ذلك ، وبالفعل لقد صدقونا واستجابوا لطلبنا ، كيف لا

ووقتها كان من المستحيل ان يردوا لنا طلب ، ذهب آبائنا الى المدير وطلبوا اجازة لنا لمدة شهر ، ولكن المدير رفض بحجة القانون ، ولكن مع الحاح اهلنا الشديد وافق ، لا تلوموني على ذلك، فانا اعلم انه علينا اعادة السنة الفائتة او اجتياز امتحان القبول الذي يؤهلنا للحاق بزملائنا ،وهذه المصيبة وحدها تجعلك تفكر بالف حجة لتأجيل ذلك.

*****

اصبحنا الآن حرين لمدة شهر وكم كنت سعيدا انا ولؤي ،في اليوم الأول زارني لؤي في بيتي ، صحيح !،لقد نسيت ان اصف لكم بيتي ، فربما تزوروني يوما ما، و ربما لا .. بيتنا مكون من طابقين ، الاول يحتوي على غرفة الضيوف والصالة والمطبخ ، اما الثاني يحتوي على غرف النوم والحمام ، والسطح من القرميد ، المهم ، حالما وصل صديقي لؤي صعدنا الى غرفتي ذات اللون الازرق والنافذة التي تغطيها

الستائر التي اعتقد انها من القرن التاسع عشر ، والحاسوب الذي لا اظن انه يرتاح في اليوم سوى بضع ساعات ، وبجانبه طابعة اكلها الغبار .

دخل لؤي وجلس على الكرسي بجانب النافذة ، ثم تبعته وجلست على كرسي الحاسوب وقلت :

-ماذا برأيك سنفعل الآن .

-الوقت فراغ ، وسأذهب معك الى اي مكان.

-اسمع ، دعنا نذهب الى المدرسة وننظر الى زملائنا بشفقة ، لانهم يدرسون ونحن لا، فهذه فرصة لا تعوض.

-حسنا ، ولكن لن ندخلها .

ذهبنا الى المدرسة قبل حلول وقت الفسحة بقليل ، دون ان ندخلها وجلسنا على احد المقاعد الموجودة على الرصيف المقابل لها ، حيث انه فور خروج الطلاب سوف يروننا، و بالاخص زملائنا.[8]

حسنا ، جلسنا نتأمل المكان الذي تركناه منذ سنة ، كانت المدرسة لا تزال كما عهدناها ، اعمدة متناسقة كالشرائط وملونة بالازرق ، والرسومات التي تحذر من التدخين تملأ المكان مع اعتقادي أن اكثر من نصف المعلمين مدخنون ،وذلك المقصف الذي يبيع السندوتشات ولا اعتقد انه يحتوي على اي نوع من انواع النظافة، وذلك الحائط الذي يعلوه سلك شائك ملتف حول المدرسة ،وهذا ما يخبرني بأن المهندس الذي بنا مدرستنا كان سجانا فيما مضى .

لقد كنت آتي الى هذا المكان كل يوم فيما مضى ، ولم أرى شيئا من الذي رأيته الآن ، واتمنى أني لم أره ، لأنه جعل المدرسة اكثر بشاعة من الماضي في نظري.

لقد اتت ساعة الصفر وخرج الطلاب من الصفوف ، اول شخص لاحظنا ، كان نزيه، الطالب الذي يصغرنا بسنتين ، ومع الوقت[9] صار صديقنا ، لا تسألوني لماذا لم آخذه معي

الى الغابة ، فهو ليس صديقنا بشكل حقيقي ولكن هناك علاقة جيدة بيننا ، كما انه يصغرنا سناً ، ولا اعتقد انه سيتحمل ، على كل حال ، عندما رآنا هرع مسرعا نحو البوابة وهو يصيح ، لاحظه بقية الاولاد فتبعوه كالاغبياء ، لم يعرف الاولاد لماذا يصيح حتى رأونا ...

ازداد اكتظاظ الاولاد على البوابة ، وللحق انا لم اتوقع ذلك ، فقد كنت اريد معايرة زملائي فقط، لأنني غبت وهم موجودون .

كنت ولؤي نلوح كالابطال للاولاد ، ومع ازدياد الضجة التي احدثناها ، خرج اناس من متاجرهم لكي ينظروا، حتى ان مدرسة البنات القريبة كنّ يتطلعن علينا ، لا تحسدوني ، فأنا شاب وسيم ومجسم ، في الحقيقة انا لست مسرورا بنظرهن الي ، لان ذلك حتما سيأتى بمصيبة ،هن مجموعة من المتطفلات، ولكي ابرهن لكم ما اقول ، خذوا هذه القصة ، اتذكر مرة ان شخصا تعثر ووقع امام بوابة تلك المدرسة ، تجمهرت بعض الطالبات على البوابة للاستطلاع ،

فرأتهن المديرة ، و تكلمت بالسماعة آمرة الطالبات بالانفضاض، حسنا ،ابتعدت الطالبات من هناك ،ولكن ظهر شاب امام البوابة ، بالتأكيد ان المديرة ظنت به السوء وتخيلوا ما حدث بعدها ،لم تتأنى وتسأله عن سبب وجوده ، بل اتصلت بالشرطة مباشرة ، وبما ان مقر الشرطة قريب ، جاءوا بسرعة ، وحسب علمي ، فإن هذه اول مرة في التاريخ تأتي فيها الشرطة بسرعة .

حسنا ، لن اكمل الباقي لأنكم تعرفونه ، ولكن الشاب نجا بصعوبة من الموقف وافتضح امره داخل البلدة ، و اعتقد انني لم اره من يومها الا وهو مدندن الرأس ، مصيبة النساء انهن يظنن انهن محور الكون ، او ما يدور حوله كل شيء، خصوصا القبيحات منهن ، وعلى اية حال ، انا لا اعتقد انهن سيتقبلن الحقيقة المرة.

والآن انا خائف من ان تأتي الشرطة ، فيبدو ان هذه المديرة لم تتعلم من المرة الفائتة ، لأنني سمعتها تتكلم بالسماعة مرة اخرى ، وددت ان

اهرب ، ولكن الغبي لؤي استبقاني ، كنت اريد ان اضحي به واذهب ، ولكنني لمحت المدير خارجا من غرفة الادارة ، لم اشأ الذهاب ، لأن "الابطال لا يهربون عندما يبرز الشر ، بل يظهرون".

جاء المدير بسماته المعتادة وقال :

-اهنئكما على عودتكما ، ولكنكما تحدثان ضجة هنا....

لم ادعه يكمل الباقي ، لأنني ذهبت دون كلام ، وكما تعلمون ، فأنا ايضا اود الذهاب من هنا بأسرع وقت ممكن ، قبل ان تطلب تلك المغفلة الشرطة ، وهكذا يمكنكم التأكد من صحة انني بطل ام لا .

في طريق العودة تحادثنا انا ولؤي ، سألني لؤي عن سبب المغادرة ، فقلت له :

-لقد مللت كثيرا هناك..، ما رأيك ان نذهب ونلعب على الحاسوب.

وافقني الرأي ولكنه بعد وقت قصير ، دندن رأسه وقال بهمهمة :

-ماذا سنفعل ؟؟،فنحن متأخرون سنة عن زملائنا ، وليس هناك سبيل للحاق بهم سوى تقديم امتحان القبول .

-لا سبيل امامنا سوى الدراسة بجد .

-اخاف ان ينجح احدنا ويفشل الآخر .

-لا عليك ، عدني بأنك ستدرس بجد وانا كذلك .

-اعدك بذلك .

-وانا اعدك.

*****

لم نعد بعدها الى المدرسة ، وبقية الشهر امضيناه باللعب والذهاب الى محل الحلوى واشياء من هذا القبيل ، حتى انه في احدى المرات وعندما كنت مع لؤي ذاهبين الى

السوبر ماركت ، رأينا زملائنا عائدين من المدرسة من الطريق المقابل ، قلت للؤي ان يتخفى ريثما يمرّ زملائنا ، لكنه سألني عن السبب ، فقلت له انني لا اريد ان يشبعوا منّا قبل الذهاب الى المدرسة ، فوافقني الرأي ، وانا متأكد انه لم يبذل مجهودا يذكر في اخفاء نفسه ، اما انا فحاولت اخفاء نفسي قدر الامكان ، وبعد أن مروا سمعت احدهم يقول :

-انظروا ، اليس هذا لؤي .

-نعم ، وبالتأكيد الذي بجانبه انيس .

-هيا فلنلحق بهم .

سمع لؤي الحديث ايضا ، فدخلنا السوبر ماركت بسرعة ، وقلت للؤي :

-هيا اقض حاجياتك على عجل .

اخذنا ما نريد بسرعة فائقة ،لم تقتضي الا ثوان وكنّا عند الكاشير ، ولحسن الحظ ان السوبر ماركت يحتوي على بابين ، كل

واحد يؤدي الى طريق مختلفة، فخرجنا من الباب الاخر .

كم احب ان ارى وجوههم بعد دخولهم السوبر ماركت دون ان يجدونا ، وبالتأكيد لن انسى فعلة لؤي ، فبسببه كشف امرنا ، ذكروني ان اعاقبه يوما من الايام .

يبدو أن الشهر مضى بسرعة ؛ لأنني عندما نظرت هذا الصباح الى التقويم ، لم أكن سعيدا قط.

*****

الفصل الثالث

عدنا الى المدرسة

وكما قلت ، لقد مضى الشهر سريعا، واليوم هو اول يوم دوام لنا ، لا اعرف ما الذي سنفعله في تلك المدرسة، هل سيلحقوننا بصفنا ام بالذي قبله ، انا لست مستعدا بعد، آه.. لو انهم يعطونني شهرا آخر ، على كل حال سأذهب يعني سأذهب ، قبلت ام لم اقبل (هذا يعني التشتت الفكري)، هذا الصباح لم استيقظ باكرا ، وعندما استيقظت وجدت امي تجرني خارج الفراش ، يبدو انني اثقلت في النوم ، فأنا وكما تعلمون ، لست معتادا على الاستيقاظ باكرا ، فما زال جدول نومي القديم مفعلا من ايام العيش في الغابة ، اتعلمون؟؟ ، الذنب ليس ذنبي ، بل ذنبهم هم ، لماذا اعطوني شهرا عطلة !!؟

عندما اتى صديقي لؤي لكي نذهب سويا الى المدرسة ، كنت لا ازال اتناول طعام الفطور ، طلبت منه ان يبقى ، فذهاب احدنا اولا الى المدرسة يعد تهميشا لشهرة الآخر ، حسنا ، بعد ان انهيت فطوري ، ذهبت ولؤي الى المدرسة ، وبالتأكيد جرى بيننا حديث كالآتي :

قلت انا :

-احذر يا لؤي من ان يزل لسانك وتخبرهم عن حياتنا في الغابة .

-لا لن افعل ذلك ، ولكن عندما يسألوني ماذا سأجيبهم ؟؟!

-مثلا ، قل لهم انني واياك كنا مكبلين الايدي والارجل ، وفي احدى المرات ، قطعوا الطعام عنا لمدة يومين ، واما الماء فكنا نشربه من وعاء وسخ ، وهكذا.. ، حاول دوما اظهار اننا كنا شجعاناً واننا قاسينا الامرين هناك.

17-ولكن يجب أن نحاول ان نتفق على قصة واحدة ، حتى لا يكشف امرنا.

-طبعا ، سنفعل ذلك فيما بعد .

بعد وصولنا الى المدرسة ، وعند البوابة ، رآنا كثير من الطلاب و بدأوا بالسير نحونا ، ولكي لا يسدوا الطريق ، ذهبت ولؤي الى احدى المقاعد وجلسنا هناك ، جلس منهم من استطاع والآخرون بقوا واقفين ، رحبوا بنا وكان يدور بيننا حوارات واسئلة كثيرة ، ولكي لا يتناقض كلامنا ، اشرت للؤي بالسكوت .

-اين كنتما كل هذه المدة ؟؟.

-لا اعرف ، ولكن كنا محبوسين في مكان ما .

-هل تعرفان الخاطفين؟؟

-لا ، فقد كانوا مقنعين.

-هل كانت حياتكم هناك صعبة ؟؟

-نعم.. نعم ، فقد قاموا بربطنا داخل حجرة مظلمة لا يدخلها الضوء الا من دهليز صغير ، ومرة قاموا بضربنا دون اي مبرر ...

وبقيت الاسئلة تنهال علينا حتى دخولنا الصف ، رغم اننا لسنا مؤهلين بعد لهذا الصف ، وكانت جميع الأسئلة والاقوال متشابهة وكثيرا ما كانوا يبدون الشفقة علينا ، اعتقد اننا بالغنا كثيرا بالكذب ، فقد ذكر لؤي انهم قاموا بتعليقنا رأسا على رأسنا ليومين كاملين ،و قد بالغ بقصته كثيرا، يبدو ان هذا الفتى نسي ان كل الامر عبارة عن كذبة لكي نتهرب من العقاب .

رحب بنا المعلمون خلال الحصص ايضا ، وبالتأكيد لم يخلوا ترحيبهم من الاسئلة ، وبينما انا اتأمل المكان الغريب علي، طرق احدهم باب الصف ، وعندما فتحه احد الطلاب ، ظهر المدير ، واقترب منا ، طلب اذنا من الاستاذ لكي يأخذنا ، وبينما نحن ذاهبون صوب الادارة، كنت افكر بالشيء الذي سيفعله المدير بنا ، على كل حال، دخلنا الادارة ، وكان بها بعض المعلمين ، آخر مرة دخلت فيها الادارة ، كانت منذ سنين ، ويبدو انهم قاموا بتغييرها ، فبدلا من الكراسي العادية ، وضعوا طقم كنب

تركي ، وبدلا من سبورة الطباشير المهترئة ، يوجد لوح اقلام ملونة ، حتى الحاسوب قاموا بتغييره ، وهذا يعد تطورا رهيبا تحت هذا النظام التعليمي الفاشل .

كان المعلمون جالسين على الكنب ، واما المدير فجلس على مكتبه ، وبدأ يتطلع على بعض الاوراق ، وبعد هنيهَ ، بدأ بالكلام وقال :

-هل تريدان ان تعيدا السنة التي فاتتكما ام تقدما امتحان القبول ؟

لم اكن اتوقع ما يريده منا حتى هذه اللحظة ، فكرت بكل شيء الا هذا ، حسنا ، جاوبت انا ولؤي معا:

-نريد تقديم امتحان القبول .

-هذا الخيار يتطلب دراسة كثيرة وبجد ، انا لا اعتقد انه يناسبكما.

-لا ، سندرس بجد واجتهاد ، وبإذن الله سننجح.

-حسنا ، كما تريدان ، الخيار خياركما .

وأخرج رزمة كتب وقال :

-هذه الكتب المنهجية ، راجعاها بسرعة ، وسيعطيكما الاستاذ ملخصا لكي تقرآه .

امتعضتُّ من الداخل كثيرا لرؤية هذا المنظر ، فأنا لم اتوقع انه يجب علينا دراسة كل هذا ، اخذناها وخرجنا ، وقد سمعت المدير يتكلم مع المعلمين قائلا :

-يبدوا ان التجربة الاخيرة علمتهما كثيرا.

انا متأكد انه كان يقصد موضوع خطفنا ، على كل حال ،بعدها عدنا الى الصف ، ومضا اليوم الدراسي كما كان من قبل ، في الحقيقة ، لم يكن عقلي موجودا في الحصص، فقد كنت اتسائل عن سبب وجودنا في هذا المكان اصلاً ، بالرغم اننا لا نعلم شيئا عن الذي يدرسونه .

[21]في طريق العودة ، دار حوار بيني وبين لؤي ، كان منه انه يطلب مني الذهاب الى بيته لكي

ندرس سويا ، حسنا ، اظن انكم تعلمون ما معنى ان يدرس الاصدقاء مع بعضهم البعض تحت سقف واحد ، اذكر مرة حدثت قبل خمس سنوات ، عندما دعاني لؤي للدراسة معه في بيته ، وقتها كان علينا تقديم امتحان رياضيات ، في الحقيقة ، انا لا اذكر اننا واصلنا الدراسة بجدية لمدة دقيقية كاملة ، فكنا تارة نحاول موازنة الفرجار على انوفنا ، وتارة كنا نتبارز بالمثلثات ، ولقد مزقنا ورق الدفاتر لكي نقذف كرات الورق الصغيرة من المصاصات على بعضنا ،حسنا ، لم تكتمل المتعة ،فقد رآنا والد لؤي ، وصدقوني ، ما حدث لن يعجبكم ، المهم انها كانت اول وآخر مرة اذهب بها للدراسة مع لؤي.

بعدها عدت الى المنزل ، بدلت ثيابي وتناولت الغداء ، حملت حقيبتي الثقيلة ، وذهبت الى بيت لؤي[22] ، يبدو ان لؤي كان ينتظرني بفارغ الصبر ، لانني فور رني للجرس ، فتح لؤي الباب ،

استقبلني بالعبارات الترحيبية المعتادة ، انا متأكد ان نصف المجتمع يقولها بدون وعي ، قال لي :

-غرفتي في الاعلى ، هيا نصعد .

-حسنا .

وتناولت حقيبتي الثقيلة ، يبدو أن لؤي لاحظ ذلك ، لانه ساعدني بحملها ، وبعد ان وصلنا باب الغرفة ، فتحه لؤي ، وقال وهو يدخل :

-هذه غرفتي ، ارجو ان تكون قد اعجبتك .

انا وكما قلت ، لم ادخل غرفته منذ خمس سنوات ، وقفت برهة من الزمن اتأملها قبل ان ادخل ، كانت ذات لون بنفسجي فاتح ، ومخطط بالغامق ، مع ستائر بنفس اللون و مزركشة تغطي النافذة التي تتوسط الغرفة ، بالاضافة الى كرسي بجانبها، ولهذا اكون عرفت لماذا يختار لؤي دائما الكرسي بجانب النافذة ، وطاولة مكتب عليها صور الابطال الخارقين ، وهي بالتأكيد لا تخلو من رزمة الكتب تلك .

بدأنا الدراسة .. ، وللحق كانت اول مرة ادرس فيها بهذا الجد ، لم نلعب او نتهاون في الموضوع ، لدرجة ان الصمت خيم على المكان ، فلا تسمع الا بعض الاسئلة بين الفينة والاخرى ، مرّ والد لؤي من المكان ، ورآنا ندرس هكذا ، فأبدا اعجابه فينا .

اقتربت الشمس على الغروب ولم ننتبه لذلك الا عندما قمت اتثاءب ، فقلت بدهشة :

-آه ، ان الشمس تغرب ، يجب ان اعود الى البيت بسرعة .

-حقا !!، صدق انني لم اشعر بذلك .

-وانا ايضا ،هل تعرف ، الامر يستحق كل هذا التعب ، يجب ان نلحق بزملائنا ، والا لحقتنا المهانة .

-نعم ، انا معك في هذا .

وقفت وجمعت كتبي بسرعة ، ولكني نسيت ان الحقيبة ثقيلة جدا ، فعندما رفعتها لاحملها[24] ،تفاجأت جدا ، لدرجة اني سمعت صوت

احتكاك فقراتي ، اذا حدث شيء ما لظهري ، اوصيكم ان ترفعوا شكوى على وزارة التربية والتعليم ، فأنا تحت العمر الذي يسمح لي برفع الشكوى ، على اية حال ، بقيت اجرجرها طول الطريق ، لوانني سوبرمان ، ساعتها سأخرج من البيت الى المدرسة وقت رن الجرس ، واضرب كرة القدم ضربة تحرق الاخضر واليابس، وارمي هذه الحقيبة ال... الى البيت من هنا ، صحيح انها ربما تصيب احدهم بأشياء لا تحمد عقباها ، واذا حدث، فسيكون الذنب ذنبه ، لماذا كان في طريقها؟؟، وكم اتمنى ان اكون مثل داني الشبح ، لا اعتقد وقتها انكم سترونني كثيرا ، الا اذا رأيتم المعلم يضع لي علامة كاملة ، او شيء من هذا القبيل، عموماً، ها انا ذا لا املك قوة خارقة تمكنني من سحبها الى البيت.

بقيت ولؤي نذاكر طول المدة التي وضعت لنا للدراسة على الامتحان ، احيانا نتبادل الزيارات ، واحيانا اخرى نبقى في بيوتنا ، لا انكر ان

الاهل ساعدونا كثيرا ، فكانت امي تقدم لي العصير وجميع الخدمات التحفيزية ، اما ابي فكان يساعدني بالدراسة ، ويجيب عن اسئلتي الصعبة -طبعا هذا من وجهة نظري – رغم انه يعمل طبيبا ، كثيرا ما كنت اسمعه يتمتم بكلمات تشاؤمية عن منهاجنا مثل :

-"هذا ليس مثل الذي اخذناه "،" اوف ، كيف يريدون ان يكون الجيل الآتي ناجحا"

حسنا ، لقد سمعتموه ، لا تنتظروا مني ان اكون ناجحا في يوم من الايام .

مرت الايام وجاء وقت الامتحان ، ازداد توتري بسببه ، و كما قال لؤي ، اخاف ان ينجح احدنا ، ويفشل الآخر .

اما بالنسبة للمواد ، فقد حفظتها على اكمل وجه ، الا الرياضيات ، فهي مادة مضادة للحفظ ، وكما يقولون "اسئلتها تشوي شوياً " ، لطالما كنت اسمعها وانا صغير من الاولاد الكبار ، فكنت وقتها اتخيل نفسي اشوي اللحم عليها ، ويبدو ان الفكرة دخلت دماغي بشكل رهيب ،

ففي احدا المرات التي كان ابي ذاهبا للسوق ،وكنا نعد لحفلة شواء، طلبت امي منه فحما للشواء ، فقلت لها لماذا لا يعد ابي بعض اسئلة الرياضيات الصعبة بدلا من الفحم فهو بارع فيها، والغريب ، انهما ظنا انني امزح معهما ، وبدآ بالضحك.

اعتقد أن خدودي تورمت خجلا من عملهما ، وانا لا ازال حتى هذا اليوم احاول غسل دماغي منها.

ذهبت الى المدرسة برفقة لؤي ، ولو كنت موجودا ورأيتنا ، لقلت ما كل هذا الجد الاجتهاد!!

لقد كنا نحمل عدة كتب مفتوحة في ايدينا ، فتارة نقرأ على ذلك وتارة اخرى على ذلك .

عندما وصلنا المدرسة ، ذهبنا مباشرة صوب الادارة ، و قد تكلمنا مع المدير.

27-أين سنقدم الامتحان.؟؟

-اذهبا الى غرفة المعلمين ، و ناديا استاذ الرياضيات نظام.

فعلنا ما قال لنا ، وعدنا برفقة الاستاذ ، يبدو أن الاستاذ لا يحمل فكرة سابقة عن الموضوع ، لان المدير قضا حوالي ربع ساعة في اقناعه.

المهم اننا ذهبنا الى مختبر العلوم ، وقام الاستاذ باجلاسنا في اماكن بعيدة جدا ، فأنا تم اجلاسي في الدرج المقارب للباب واما لؤي ، في الدرج الاخير بجانب النافذة ، يا رجل ، لا ادري ما قصة لؤي والنوافذ ، يجب أن اعرفها في يوم من الايام .

وانا اقدم في الامتحان ،مرت لحظة نظرت فيها صوب لؤي ، لكي اعلم ان كان يبلي حسنا ام لا، لكنني وفور ادارة رأسي سمعت صوت المعلم.

-"انييس"، عينك بورقتك .

اعتقد اننا لو اجرينا مسابقة بينه وبين نظام[28] مراقبة آلي ، لفاز هو من دون منازع .

اما بالنسبة للاسئلة ، فقد كانت سهلة ، إما أن المعلمين جعلوها سهلة لأجلنا ، او انني اصبحت عبقريا ، واذا كان الخيار الثاني هو الصواب ، فيجب ان تسارعوا الى اعطائي جائزة نوبل للذكاء ، قبل ان افقد قدراتي ، وساعتها لن يستفيد العالم مني.

انهينا الاختبار ، وفور مقابلتي للؤي ، سألته عن بلائه في الامتحان ، فأجابني رافعا ابهامه ، وهو ايضا سألني نفس السؤال فرفعت له ابهامي.

هممنا بالمغادرة ، لكن المدير نادانا ، وقال لنا :

-يجري الآن تصحيح اختباركما ، ارجو ان تنتظرا النتيجة .

اجبنا موافقين ، وجلسنا على الفرش التركي ، كنت انظر الى المدير وهو يدير اعماله ، كم يأكلني الفضول لمعرفة ما يفعاه المدراء على مكاتبهم ، فهو لا يقوم بتدريس الاولاد ، ولا يطبع اوراق الامتحانات ، ولا يصنع الشاي ،

ماذا يفعل ؟؟، الله اعلم ، اللهم الا اني ارى مهمته الوحيدة ضرب الاولاد .

حسنا ، لقد خرجت نتيجتي ، وكانت علامة كاملة ما ابهر المدير والمعلمين ، وكذلك لؤي ، الا ان نتيجته اقل مني بعلامة ، ذهبت وربت على كتفه وقلت :

-لا عليك ، المهم اننا سندرس في نفس الصف .

رفع رأسه مبتسما ، وقال:

-نعم صحيح ، فهذه العلامة لن تقدم او تأخر .

عدنا الى البيت مسرورين ، ولكم اود رؤية وجه امي عندما ترى علامتي .

*****

اليوم كان اول يوم لنا في المدرسة ، بدأنا الدراسة بشكل معتاد ، بالاضافة الى أن شعبيتي ولؤي اصبحت كبيرة بين التلاميذ ، كان الطلاب يتجمعون حولنا في الفسحة ، واوقات ما بين الحصص ، فقط ،لرؤيتنا ،والاستماع الى احاديثنا ، انتم تعرفون السبب ،ولا داعي لذكره مرة اخرى ، و مرت ايام على هذا المنوال ، وطبعا ، لا يوجد اشخاص ناجحين ، الا وكان هناك مَن هُمْ غيورون منهم ،او حقودون عليهم ، لهذا حدثت بعض المشاكل في الآونة الاخيرة.

البارحة ، وجدت صفحة من كتابي قد تم تمزيقها ، والغريب أن هذه الصفحة ، هي التي سنأخذها بالحصة نفسها، اخذت عقابا لعدم اهتمامي بكتبي ، وصدقوني ، لن ارحم الفاعل ان وجدته ، واما لؤي ، فقد وجد حاجياته مرمية على ارضية الصف ، ولولا مساعدتي له ، لمكث حصة كاملة في جمعها ، واستمرت هذه الحوادث بالاستمرار لمدة اسبوع ، بالتاكيد لن

نسكت على هذا ، اعدكم اني عندما اجد الفاعل ، سيرى نتاج اعماله.

ومع ذلك بقيت ولؤي نعيش حياة يومية تتمثل ، بالذهاب الى المدرسة صباحا ، ومغادرتها بعد الظهر ، ثم اللعب حتى بعد العصر ، وايام العطل نقضيها احيانا بالتمشي في الحديقة ، ارجو الا تسألوني عن التحضير اليومي للمدرسة ، فأنا لست مستعدا للتضحية بمعظم وقتي من اجل دراسة اشياء من دون معنى .

و في احد الايام ، وبينما انا ابحث بين اغراضي تحت السرير، رأيت كيسا غريبا ، حاولت سحبه ولكنه ثقيل ، وبعد مجهود طويل ، استطعت اخراجه من تحت السرير ، وبعد ان فتحته ، وجدت مجموعة من المجوهرات ، بما في ذلك الالماس وغيره ، دهشت للوهلة الاولى ، ولم استطع تذكر ما حدث ، لكن الزمان عاد بي قرابة سنة الى الوراء ، فقلت بدهشة :[32]

-آه تذكرت ، انها المجوهرات التي سرقها اللصين ، اما زالت موجودة ...لا...نسينا ان نبحث عن صاحبها .

وبقيت الليل الوم نفسي عن سبب نسياني الشديد لها .

في اليوم التالي ، وبعد ذهابي الى المدرسة ، اخذت صديقي لؤي الى احدى الزوايا ، وبدأت بالتحدث معه .

-لؤي ، اتذكر اللصين اللذين قتلناهما .

-نعم ، وماذا في الامر .

-اتذكر المجوهرات ، هي لا زالت معي .

-اي مجوهرات ؟؟

ويبدو انه تذكر ، ثم هم بالصياح ولكني اوقفته ،وقلت :

-اسكت، ستفضح امرنا .

فقال بهدوء:

-نعم تذكرت ، ماذا سنفعل بها؟؟

-سنبحث عن صاحبها .

-ولكنه ميت .

-اقصد الورثة .

بقينا ننتظر انتهاء الدوام بفارغ الصبر، ولما رن جرس الذهاب ، ركضنا انا ولؤي الى البيت ، ولكننا توقفنا في منتصف الطريق ، لنتكلم قليلا ، قلت للؤي :

-اسمع ، بعد ساعة من الآن ، نلتقي في حديقة البلدة .

-حسنا ، ولكن اين ؟

-عند النافورة القديمة.

لم نزر انا ولؤي حديقة البلدة منذ زمن بعيد ، رغم اننا كنا نذهب اليها بشكل يومي تقريبا قبل ان نذهب الى الغابة .

عدت الى البيت ، وعندما فتحت الباب وجدت ابي جالسا على الكنبة ويفعل شيئا ما ، استغربت كثيرا من وجوده في هذا الوقت ، اذ يجب أن يعمل الآن في المستشفى .

قلت لوالدي باستغراب :

-ماذا حدث ؟؟ لماذا أنت في البيت قبل الموعد؟

-لا شيء ، لقد تم تغيير مواعيد دوامي ، وها انا جالس الآن .

اقتربت منه ، وجلست على الكنبة المقابلة ، وصدمت عندما رأيت المسدس في يده ، ففي السنة الماضية نسي ابي أن ينظف المسدس حسب موعده السنوي ، بسبب عودتي ، وهكذا اخاف ان يلاحظ ابي النقص في الرصاصات .

جلست اراقبه وهو يحمل صندوق الاطلاقات ، فتحه وبدأ بالعد ، كان قلبي يخفق بشدة ،كنت اسأل نفسي بعض الاسئلة مثل : " اذا اكتشف نقصانها ماذا سيحدث ؟؟" ، و ،" ايعقل ان يكتشف امري " وهكذا نوع من الاسئلة ، التي دائما ما تعمل على تحفيز التوتر .

قال ابي بحيرة:

- انها ناقصة ، ايعقل اني لا اعلم عددها ؟؟

قلت بتوتر :

- نعم .. نعم ، لا بد انك نسيت عددها .
- ربما..، فقد مضا سنتان على آخر تفقد له .

لقد نجوت بأعجوبة ، وعندما هممت بالصعود الى غرفتي ، استعمل ابي بخاخا لا اعرف ما وظيفته ، على الاجزاء الداخلية للمسدس ، وقام بتمريره من الاسطبانة (ماسورة الاطلاق)، فخرج سائل احمر كحمرة الدم ، استغرب ابي كثيرا ، وقال :

-ايعقل أن المسدس صَدِئ لهذه الدرجة ؟؟!!

بدأت شفتاي بالارتجاف ، لم استطع الاجابة ، فصعدت الى غرفتي على عجل ، وقلت لنفسي :ماذا سأفعل اذا اكتشف امرنا ؟؟ ثم اجبت على

سؤالي مواسيا :لا ، من المستحيل أن يحدث ذلك .

انهيت ما افعله عادة بعد المدرسة بانتهاء الساعة ، وذهبت لكي القى لؤي ، كان المكان عند النافورة القديمة هادئا ، وتوجد الاشجار هناك بكثرة ، التين والسرو والصنوبر والزيتون كذلك ، كان الجو ربيعيا ، ما...ذكرني بايام العيش في الغابة ، فقلت متحسرا ، وزافرا لنفس حزين :

- آه... ليت تلك الأيام تعود ، لم نكن نهتم كثيرا ، وكانت راحة البال تغطينا .

لم يمض كثير من الوقت حتى جاء لؤي ، رحب بي ، ثم قال :

-هل تأخرت ؟

-لا ، ليس كثيرا .

- كيف سنبحث عن صاحبها ؟

-لكي نمسك بطرف الخيط ، يجب الذهاب الى محله .

-وهل تعرف مكانه ؟؟

-نعم ، سألت عنه .

-اذا فلنذهب اليه.

كان طريق الذهاب عاديا ، نظرت الى طريق قريب منه ، فوجدته مؤلوفا ، ظللت انظر الى الطريق المقابل عبر الازقة والطرق الفرعية وانا اسير ، فعرفته ، وقلت للؤي بسرعة ، وانا اشير اليه :

-اليس ذلك الطريق الذي نسلكه للذهالب الى المدرسة ؟؟

-آه .. نعم ، انه هو .

-هذا يعني أن المحل ليس بعيدا عن المدرسة .

-نعم .

عندما وصلنا الى المحل ، وجدناه مغلقا ، ما اثار استغرابنا .

ذهبنا الى محل البقالة المجاورة ، وبعد أن تأكدنا من انه خالي من الزبائن ، سألنا صاحبه عن صاحب محل المجوهرات المجاور له فقال:

-انا لا اعلم عنه كثيرا ، وفي الحقيقة انا اشكك في امره -رحمه الله- ، انصحكما أن تذهبا الى فلان الفلاني ، كنت اراه عنده في بعض الاحايين .

-وهل هو يملك عائلة او ما شابه ؟؟

-لا ، هو اعزب ، ولا اعرف إن كان له اخوة او لا .وأضاف ايضا :

-ولكن لماذا تسألاني عنه ؟؟

-لا .. لا شيء ، كنا نريد أن نتكلم معه فقط.

حك الرجل ذقنه بارتياب واضح ، من المؤكد انه لم يصدقنا ، لذا بادرنا للخروج بسرعة ، سمعته يسألنا عن اسمينا ونحن خارجين من الباب ، ولكني تجاهلته .

ذهبنا انا ولؤي نسير من دون وجهة محددة ، فقط للكلام ، بدأنا نفكر ونحتار في امر ذلك الرجل ، قلت للؤي :

-ماذا سنفعل الآن ؟؟

-من رأيي ، أن عدم الذهاب الآن الى الرجل الذي وصفه لنا صاحب البقالة افضل .

-انا معك في هذا ، ولكن كيف سنتوصل الى اصله .

-يبدو انه عديم الاصل .

-نعم ، ما رأيك أن نسأل بعض زملائنا عنه ، فهناك منهم من يعيش في هذا الشارع .

-حسنا ، أوافقك الرأي ، وبعدها سنذهب الى الرجل الذي وصفه لنا صاحب البقالة.

بقينا نتكلم حتى وصلنا بيوتنا ، ووقتها ادركنا أننا تأخرنا قليلا ، فالشمس قاربت على الغروب.

دخلت البيت وسلمت ،و من الجيد أنني لم اتأخر كثيرا فقد وجدت امي و قد قاربت على انهاء تحضير طعام العشاء .

بعد أن اجتمعنا على مائدة العشاء ، لمحت نظرات ريبة على وجه ابي ، لا اعلم ان كان قد حدث كلام بين امي وابي في غيابي ، ولكن الامر يبدو كذلك ، تجاهلت النظرات.. ، واكملت عشائي بشكل معتاد ، ثم اسرعت الى غرفتي اجتنابا لأي اسئلة مفاجئة .

هرعت الى مكان الجواهر اسفل السرير ،- صحيح انه من المستحيل انهم وجدوها ، لأنهم لو وجدوها لما تركوني اكمل معهم العشاء- ، تفقدتها ، وقد كانت سليمة ، ولا يوجد اثر يدل على أن شخصا فتحها قبلي ، نمت ليلتها وانا قلق وافكر بما علي فعله بالوضع الراهن .

ذهبت ولؤي في اليوم التالي الى المدرسة ونحن نفكر بكيفية سؤال التلاميذ عن الرجل الميت ،

حسنا ، لقد سألنا كثيرا من الطلاب ، وجمعنا كثيرا من المعلومات ، مفادها أن الرجل مشبوه ، وقد علموا ذلك بعد حادثة القتل ، لأنه عندما قامت الشرطة بالبحث عن شخص يرثه ، او حتى يمد له بصلة قرابة لم يجدوا احدا ، لهذا ترون محله مغلقا للآن .

في الفسحة ، بقيت مع لؤي نتشاور بصوت خفيض ، في مكان بعيد عن الاولاد ، وأنتم تعلمون لماذا .

لم نجد خيارا سوى الذهاب الى الرجل الذي وصفه لنا صاحب محل البقالة ، واتفقنا على موعد اللقاء ، في الحقيقة ، انا في حيرة من امري ، فأبي يشك في امري من جهة ،و السؤال عن صاحب المجوهرات ربما يجلب لنا المشاكل من جهة اخرى ، وأخاف أن تجد امي الجواهر من جهة ثالثة ، فلا ادري ماذا سأفعل لكي انجو بنفسي من هذا الموقف الصعب.

[42]في الحصة الرابعة ، طرق احد طلاب الكشافة باب صفنا ، وبدأ يصف لنا ما يفعله طلاب

الكشافة ، وصدقوني ، جميع ما يفعلونه ليس سوى كلامٍ فارغ ، فمن وجهة نظري ، هؤلاء ليس منهم فائدة ترجا من اجل المدرسة ، ولو أن المدرسة دفعت النقود لجعل المقصف اكثر نظافة بدلا من تبديدها على الكشافة ، لكان ذلك افضل.

هذه مشكلة مجتمعاتنا ، تهتم بالجوانب الظاهرة ، ولا تبدي اية اهمية للجوانب الباطنة ، لو نظرت الى جميع المؤسسات ، لوجدتها حبة لوز من دون اللب .

المهم اننا وبعد انتهاء الدوام ، عدنا الى البيت بأسرع وقت ، ثم ذهبنا للقاء بعضنا في وقت ابكر من المرة الفائتة ، لكي نأخذ وقتا اطول عند ذلك الرجل .

بعدما التقيت لؤي ، بقينا نسير لنصف ساعة على ما اعتقد ، حتى وصلنا الى بوابة مزخرفة بزخارف نباتات ، ورائها بيت عادي ، ليس

حقيرا، ولا فخما ، ولكني اراه مائلا للمخملية ، كان مصبوغا بالبنفسجي ، مع قطع من اللميع المنشرة على سطحه ، و لأني لا احب التفاصيل كثيرا ، اقول لكم ، انه كان بيتا جميلا ومتناسقا.

ترجلت انا ولؤي من البوابة ، بعدما ضغطنا على زر الجرس ، وجائنا صوت منه يأمرنا بالتفضل ، عندما اقتربنا من الباب ، خرج لنا رجل - فقط رجل - ، فلا تتوقعوا مني أن اصفه لكم الا اذا كانت اوصافه ستفيدكم ، رحب بنا ، رغم انه لا يعرفنا ، سألناه عن فلان الفلاني ، فهز رأسه موافقا ، وقال :

-انا هو ، ماذا تريدان منه ؟

-قصة طويلة .

-ما دامت كذلك ، هيا تفضلوا.

دخلنا معه الى غرفة الضيوف ، نعم ، كانت غرفة الضيوف ، عزيزي القارئ، لا تكن كثير السؤال ، فتسأل مثلا ، عن لون الكنب الاحمر ، او عن السجادة المخملية ذات اللون الخمري ، او عن الستائر المزركشة بالورود ، او عن لون

الغرفة الزاهي ، فرجاءً لا تكن من أولاؤك الذين يحبون التفاصيل المفصلة.

بدأ هو الكلام فكان يسألنا عن عمرنا ، وبأي صف ندرس ، واشياء من هذا القبيل ، وظل الحوار بيننا الى أن سألنا قائلا :

-ما هي القصة الطويلة التي تريدان ان تحكياها.

فقلت انا :

-نريد أن نسألك عن صاحب محل المجوهرات.

-وماذا تريدان منه ؟؟

لم اجب على سؤاله ، وتابعت قائلا :

- نحن نعتقد انك كنت على علاقة معه .

-نعم ، كنت أذهب اليه احيانا .

-حسنا ، هل تعرف له اقرباء ، او ورثة .

و بدأ يتكلم بتوتر واضح وبكلام متقطع قال:

-في الحقيقة ، هو ليس من هنا ، وأنا لم ابني معه علاقة من فراغ ، اسمعا ، هذا الرجل

مشبوه بأنه ربما يكون عميلا للمخابرات الامريكية ، ونصيحة مني ، اياكما وسؤال احد عنه بعد الآن ، فهناك احتمال كبير أن تقعا بالمشاكل ، وعليكما أن تحمدا الله ، على أنكما وقعتما مع الشخص المناسب ، والا حدثت اشياء لا تحمد عقباها.

وأضاف من عنده ايضا :

-لقد تم قتل اللصوص اللذين سرقاه ، وتم أخذ المسروقات منهما ، لذا لا انصحكما أن تأتيا على هذا الموضوع بتاتا ، وانسيا كل شيء يخصه.

شعرت بأني اريد الضحك على ما قاله ويبدو أن لؤي كاد أن يفعل مثلي ، ولكننا سكتنا قبل أن يكشف امرنا ،شكرناه على حرصه ، وهممنا بالمغادرة ، ولكنه سألنا مرة اخرى :

-صحيح ، لماذا تريدانه ؟ ، ايوجد شيء ؟؟

-لا ..، فقط إن هناك شيئا كنا نريد أن نعيده له.

-لا اعتقد انه شيء يستحق الذكر ، وعلى كل حال ، انسيا امر اعادته له .

حسنا ، لقد سمعتموه ، فالمجوهرات اصبحت ملكنا الآن .خرجنا من عنده ، وبدأنا بالتمشي نحو البيت ، كنا محتارين ، ونسأل بعضنا الأسئلة لعلنا نجد جوابا لسؤالنا :

-صحيح اننا اصبحنا من الأثرياء ، ولكن يا لؤي ، اين سنخبئ هذا الكنز ، فأنا لن اتحمل تخبئته في منزلي طويلا ، والا كشف امري .

-هل الخزينة تكفي لإخفائه ؟؟

-لا ، بل ستكشفه ، ولكنها افضل من لا شيء .

-حسنا ، عندي واحدة ، وسأعطيك اياها غدا .

-موافق ، وسنعمل على اخفائها في مكان ما في غرفتي .

ثم قال لؤي بقلق:

- ولكن ماذا سنفعل بهذه الثروة؟؟ ، ففي النهاية يجب أن نبيع هذه المجوهرات ، ونقتسم النقود ،

وماذا سيقول اهلنا اذا رأو ما معنا من نقود ؟؟، كثير من الاسئلة تراودني ولا اعلم لها اجابة .

-اسمع يا لؤي ، لا تقلق ، وسنتولى هذا الامر عندما نكبر ، بل عليك أن تفرح بهذه الثروة ، فحسب تقديراتي ، انها تقدر بالملايين .

-ألم يقل اللص أنها ربما تساوي مليونا فقط ؟؟

-نعم ، وهو مخطئ ، فالألماسات وحدها لا تقدر بثمن ، فكيف بالباقي ، ولا اعرف لماذا اخطأ اللص.

-ربما ليعطي زميله مالا اقل وينعم بالباقي ، اليس كذلك ؟؟

-نعم ، هذا ممكن ، فليس هناك شيء بعيد عنهم.

رغم اننا خرجنا من عند الرجل قلقين ، الا اننا عدنا الى البيت مسرورين فرحين ، خصوصا انا .

عندما دخلت البيت هذا المساء ، رأيت قنينة لومينول (مادة تكشف آثار الدماء) فوق الدرج الذي فيه المسدس ، لا اعلم ان كان استعملها

ابي او لا ، ولكنه ومن دون شك سيستعملها على اجزاء المسدس الداخلية .

صعدت الى غرفتي وتفقدت الجواهر ، اتعلمون ، لقد اصبح تفقد الجواهر شيئا روتينيا افعله كلما دخلت الغرفة ، طبعا سيكشف امري اذا لم اتأكد من خلو المنطقة ، لذلك افعل ذلك واغلق الباب ورائي بكل تأكيد .

نادتني امي لتناول طعام العشاء ، فأسرعت ذاهبا اليها، لأنني ومن دون شك
جائع!!،عزيزي القارئ ، لا تجعلني ارتاب في امرك ، لذا ارجو ان تلتزم الحذر ، فأنا اجيد الكاراتيه ، في الحقيقة ..، قصة اني اجيد الكاراتيه مشكوك بها، لأنني وعندما كنت في الصف الثاني ، رأيت اناسا على التلفاز يلعبون الكاراتيه ، اعجبتني حركاتهم بشدة ، فذهبت الى امي اطلب منها أن يلحقوني بمدرسة لتدريب الكاراتيه ، حسنا ، قالت امي لأبي ، واجتمعا معي ، ظننت انهم سيوافقون او ما شابه ، لكنهم حطموا احلامي عندما قالوا انني ما زلت

صغيرا ، ويجب أن انتظر حتى الصف الخامس ، وقتها كنت ارى أن بلوغ الصف الخامس شيء مستحيل ، فنسيت الموضوع تماما ،وهذا ما كان ابي وأمي يريدانه ، و المفاجأة انني تذكرت الموضوع وانا اشاهد لاعبي الكاراتيه على التلفاز وانا في الصف الخامس ، ذهبت مسرعا الى امي وابي اذكرهما بوعدهما ، ولكن ، لا حياة لمن تنادي ، لم ينسيا الموضوع بل تجاهلاني ، حاولت أن اقنعهما عبر اداء حركة كاراتيه سريعة امامهما ، ولم اكن اعلم أن التلفاز ورائي ، ما أدى الى تحطمه ، ولا تسألوني عما حدث بعدها ، لأن ما حدث بالتأكيد لن يسركم ، اعتقد بعدها أن والديّ اخرجا الفكرة من رأسهما الى الأبد ، على أية حال ، ها انا في الصف الثامن ولم يسألني احد عما اذا كنت اود تعلم الكاراتيه بعد ام لا .

وبسبب تلك الحركة ، اعتقدت انني اجيد الكاراتيه ، ومن يومها وانا اقول لكل شخص ارتاب في امره ، احذر ، فأنا اجيد الكاراتيه.

وبينما كنت التهم كل ما تصل له يدي ، لمحت نظرة الريبة نفسها التي كانت البارحة على وجه ابي ، بل ويبدو انها ازدادت ، يبدو أن ابي لا يزال يشكك فيّ بعد أن وجد الدماء داخل المسدس ، والذي جعلني اتأكد من نظريتي ، هي انه وعندما مررت من غرفة نوم ابي وامي هذه الليلة ، رأيت ابي يشاهد المقابلات التي حدثت معنا بعد عودتنا ، يا رجل ، لماذا أنا ؟ الا يوجد في البيت شخص مشتبه به غيري ، ربما يكون معه بعض الحق ، لأن دماء الخنزير لا تأتي الا من الخنازير ، والخنازير موجودة في الغابة ، وبما أن امي لم تذهب الى الغابة ، بل وهي ايضا لا تستطيع استعمال المسدس ، وهذا يعني شيئا واحدا ،وهو أن المشتبه به المتبقي واحد، وهو- للأسف- انا.

اسمعوا ، اريد أن اتغيب عن هذا البيت في اقرب فرصة ، فماذا سيحدث لو انني كنت جالسا على الأريكة ولا افعل شيئا سوى

الاهتمام بشؤوني الخاصة، ثم يأتي ابي ويصرخ في وجهي:

-أها...، ايها الكاذب الكبير .

قولوا لي ماذا سأفعل بعدها، غير شيء واحد ، وهو اللا شيء ، نعم ..، لا شيء ، ماذا تتوقعون مني اذا ، أن اقوم بمسح ذاكرته .

على اية حال ، ارجو أنكم تتذكرون الحوادث التي حدثت معنا انا ولؤي بعد العودة الى المدرسة ، ففي صبيحة اليوم التالي وبعد أن ذهبت ولؤي الى المدرسة ، نادانا الولد نزيه - لقد عرفتكم عليه فيما مضى - ، واخذنا الى احدى الزوايا ، عرفت عندها انه يملك شيئا هاما لإخبارنا به ، فقد قال لنا:

-لقد عرفت الطلاب الغيورين منكم ، وهم نفسهم الذين سببوا لكم المشاكل .

[52]-حقا !!،هل عرفتهم ؟؟ .

-نعم ، انهم اثنان ، ويوجد معاون ثالث لهما .

-هيا قل ، من هم؟ .

-رزق ، سامي ،و فتحي.

قلت انا باستغراب :

-مستحيل ، فعلاقتنا طيبة معهم .

فقال لؤي وهو يحرك حواجبه :

-طيبة !!؟؟

-حسنا ، ليس كثيرا ، ولكنها عادية .

ثم عاد نزيه الى الكلام ، وقال:

-لا اعتقد أن للعلاقة سهما في الموضوع ، فكثير من الاشخاص لا يحبون الخير لغيرهم .

-نعم ، هم عبارة عن طفيلات اجتماعية ، ويعملون على اسقاط نجاحات الآخرين بدلا من أن يبنوا نجاحاتهم بنفسهم.

قال نزيه :

-الا تريدون أن تفعلوا شيئا تجاههم ؟؟

-نعم ، و لكن ليس الآن .

شكرنا نزيه على معلوماته ، وذهبنا الى المقاعد نفكر بطريقة لمعاقبتهم ، قال لؤي:

-لماذا لا نفعل بهم مثل الذي فعلوا بنا .

-لا ..، سأحاول أن اجد شيئا يعاقبهم كلهم مرة واحدة .

-واذا لم تجد شيئا .

-ساعتها سنقوم بتنفيذ خطتك .

-حسنا كما تريد ، المهم أن نأخذ حقنا منهم .

سمعت يومها من احد الاولاد أن اولاد الكشافة سيذهبون في رحلة الى الغابة لمدة لا تقل عن شهر ، ما يمثل حجة مناسبة للتغيب عن البيت لأكبر مدة ، لهذا قررت الالتحاق بالكشافة ، وما شجعني ايضا أن الاولاد الثلاثة الغيورين مني سيذهبون ايضا ، وهذا ما يزيد فرصتي في الانتقام منهم ، وهذا لا يصلح تحت سقف المدرسة ، اما في الغابة ، فالامر يختلف ، لأن قوانين الغابة هي التي تتطبق وليس قوانين المدرسة الغبية ، اليس ما اقول صحيحا ؟؟.

طلبت من لؤي التسجيل معي في الكشافة ، بعد أن عرضت له خطتي التي نالت اعجابه كثيرا ،لاحقا، تحريت عن المكان الذي سنذهب اليه في الغابة ، واحزر ماذا كان ، لقد كان مخيما ، سألت لؤي ان كنا قد رأينا مخيما او ما شابه ، لكنه اجاب بالنفي ، بل واستغرب مثلي من وجود مخيم في تلك الغابة .

بعدها، اكتشفنا انه مخيم على اطرافها ، بل بالكاد يكون فيها ، ومع ذلك ، فالابتعاد عن البيت تحت هذا الحال ، امر مطلوب .

بقيت يومها وانا اجهز لهذه الرحلة ، وقد تفاجأ ابي وامي بهذا القرار السريع ، اذ اني لم آخذ بمشورتهما ، حتى ان امي سألتني قائلة :

-انت تكره الكشافة على ما اعتقد ، فكثيرا ما تتكلم عنهم بالسوء ،اليس كذلك ؟

-نعم ..نعم ، فكما تعلمين ، الذهاب الى الغابة فرصة لا تعوض .

قال ابي بارتياب :

-"فرصة لا تعوض " أوه ...نعم .."فرصة لا تعوض "

تجمدت مكاني بعد أن اكمل كلماته ،ولكي لا اثير ريبته ، عدت لما كنت افعله بسرعة ، يا رجل ، ألهذا الحد يشك في امري ، ولو كنت مكانه لتكتمت على الأمر ولم اذكره من قريب ولا من بعيد ، أليس كذلك؟، وأنا متأكد انك ايها القارئ تشهد على ذلك ، فجميعكم رأى كم انا مواطن صالح ، وافعل ما هو خير – لي انا طبعا ، وليس للناس-.

التقيت بلؤي في صبيحة اليوم التالي ، وأنا ذاهب الى المدرسة ، كان مثلي ، فرحا ومسرورا ، و قام باعداد كل ما يخص الرحلة، دار بيننا حديث كثير ، مداره كيفية الانتقام من هؤلاء الاوغاد .

- ولكن يا انيس ماذا سنفعل اذا هددونا بإخبار المعلم .

- سنقوم بتهديدهم ايضا بالذهاب الى المعلم قبلهم واخباره بما فعلوه قبلا .

-فعلا ، انا لا اعتقد انهم سيجرؤون بعدها على اخبار المعلم.

-نعم.

عندما وصلنا المدرسة كان هناك حافلتان من تلك التي تتسع لعشرين راكب ، واما طلاب الكشافة فكانوا جالسين على المقاعد ينتظرون مناداة اسمائهم لدخول الحافلة ، كان التلاميذ قد دخلوا صفوفهم ، ما يعني أنني ولؤي قد جئنا متأخرين عن كل المدرسة ، قال لي لؤي بأن الكلام أخرنا عن الموعد ، ولكني لم اشأ أن اقول له انني سبب تأخرنا ، فقد جاء لؤي لكي نذهب الى المدرسة معا، وبقي ينتظرني طويلا عند البيت، حتى انني لمحت الساعة قد تخطت الثامنة عندما خرجنا .

المهم ، وكما قلت سابقا ، انا لا احب ذكر التفاصيل المفصلة لأشياء لن تفيدكم كثيرا

معرفتها، دخلنا الحافلة وذهبنا الى ذلك المكان الذي سيغيبني قرابة شهر عن البيت .

*****

كنت اظن أن الأشياء الموجودة في ذلك المخيم ، تستطيع اعطائنا على الاقل ادنى اسباب الحياة ، ولكن بعد أن وصلنا الى ذلك المخيم ، وعندما نزلت من الحافلة مع باقي التلاميذ ، تبددت جميع آمالي ، فقد رأيت آثارا من العصور الوسطى ، -يقال انها اكواخ-، ربما تظن أيها القارئ انني ابالغ ، ولكنك ستصدقني عندما تنام ليلة فيها ، على اية حال ، انا لم انم فيها بعد ، ولهذا بقيت متفائلا على أن تكون الحال افضل داخل تلك التي يسمونها اكواخ .

[58]بعد ان نزلنا من الحافلات ، تم توزيعنا في مجموعات ، اخترت انا ولؤي المجموعة التي

فيها فتحي ،و سامي، ورزق ، لهدف تعرفونه ، وكذلك فعل بقية الطلاب ، الكل اختار مجموعته ، وفي النهاية ،بقي مجموعة من الطلاب لم يختاروا أو يتم اختيارهم ، شعر المعلمون عليهم بالشفقة، وهكذا تم تصنيفهم بمجموعة الابطال.

ولكي يتم توزيع الاكواخ على الطلاب ، قام المعلمون بقرعة بين الطلاب ، حيث كتبوا ارقام الاكواخ على اوراق صغيرة وطووها ، بعدها تقدم كل نائب عن مجموعته واختار ورقة ، ظهر لنا الرقم ثمانية ، لا اعرف إن كان هذا الكوخ قد تهدم ام لا يزال قائما ، ولكني اعلم بالتأكيد انه من اقدم الاكواخ ، فقد سمعت أن هذا المخيم تم بنائه بالتدريج ، حيث بنوا عشرة اكواخ في المرة الاولى ، وبعدها خمسة ، وبعدها خمسة اخرى ، ويفصل بين كل مرة واخرى ،عدة سنين ، ربما تكون عدة قرون ، لا اعرف ، ولكن ما اعرفه هو انه وبالتأكيد كوخنا موجود منذ العصر الحجري .

تم توزيع المعلمين علينا ، كل معلم مسؤول عن مجموعته ، اخذنا الاستاذ كريم ، وهذا كان شيئا رائعا ، فمع هذا الاستاذ يمكنك أن تفعل كل شيء تقريبا ، اتساءل عن شعور بقية الطلاب ، خصوصا اولاؤك الذين اخذهم الاستاذ شوكت ، لا اعتقد انهم سيعرفون معنىً للحرية في هذا المكان ، عموماً ، ها نحن متوجهون نحو كوخنا ، والذي يقع في أواخر الصفوف ،توقعت أن اجد نصفه مهدم ، ولكن عندما رأيته غيرت وجهة نظري ، ليس لأنه جميل ، بل كان بشعا ، ولكنه على الاقل ، لم يكن مهدما ولكن خشبه يختلف قليلا عن التي رأيناها هناك، ما جعلني اتفاءل قليلا من الحياة داخله ، فتح لنا الاستاذ الباب وقال لنا :

-تفضلوا .

عندما دخلته رأيت اسرّة ، ومصباح ، هذا هو الاثاث الوحيد ، كانت الاسرّة من طابقين ، كالتي ينام عليها الجنود ، كنت اتوقع أن اجدها على الاقل بحالة تسمح لك بالنوم فيها ،

وللأسف لقد كانت كذلك ، سألت الاستاذ عن سبب وجود اسرة اقدم من الكوخ نفسه ، ولكنه ضحك ، وقال:

-ليست اقدم من الكوخ ، بل تم وضعها بنفس السنة التي تم بناء الكوخ فيها .

-ولكنها تبدو كذلك .

-قبل سنوات ، تهدم جزء من هذا الكوخ ، فتم تجديد بناء الأكواخ العشرة القديمة .

ألم أقل لكم ، لقد تهدم هذا الكوخ فيما مضى ، ثم تمت اعادة بناءه ، وبفضل الله ، ذهب هذا الكوخ من نصيبنا .

اخترت سريرا علويا بعد رحلة بحث طويلة ، وقمت بتجهيز مكان نومي بصعوبة ، تصورت أن لؤي اختار السرير الذي تحتي ، ولكني تفاجأت عندما رأيته يجهز ذلك السرير الموجود عند النافذة[61] ، وكما قلت سابقا ، يوما ما سأعرف قصة لؤي والنوافذ .

خرجنا من الكوخ بعد أن سمعنا جرس العشاء ، كان عبارة عن خبز وبيض مسلوق واشياء من هذا القبيل ، وصدقوني ، انتم لا تريدون اكل ذلك الطعام.

بعدها بدأت السهرية ، كانت هناك نار على ما اظن ، وكان الجميع مجتمعين على المقاعد يرونها ، ذهب الاستاذ فهمي المسؤول عن الرحلة الى وسط الجمع الكبير بجانب النار ، وبدأ يلقي علينا القوانين ،لماذا يتعب نفسه بالقاء القوانين ، فنحن في غابة ، ومن الافضل ابقاء قوانينها قيد التفعيل ، اليس ما اقول صحيحا ؟

تم ايقاظنا باكرا في اليوم التالي ، وقمنا ببعض تمارين اللياقة البدنية ، بدأ الامر يتحول الى فظاعة ، فناهيك عن السرير المتخلخل ، والكوخ المهترئ رغم تجديده ، وطعام الجرذان ذلك ، يوقظوننا من اجل تمارين فارغة ، هي ذاتها التي نؤديها في المدرسة ، ولا اعرف ما

فائدة إتعاب الاولاد من اجل لا شيء ، لم اسمع يوما أن رياضيا مشهورا كانت تمارين الصباح سبب نجاحه ، على اية حال ، كان طعام الافطار لذيذا نوعا ما ، ربما بسبب انهاكنا في تلك التمارين .

قاموا بجمعنا ، من اجل اخبارنا عن نشاط اليوم ،طلبوا منا الذهاب الى الغابة وصيد شيء من الاشياء التالية : ضفدع ، فراشة ، صرصار ليل ، يعسوب ....

اعتقد أن الجميع سيختار فراشة ، لأنه من المستحيل أن يجرأ احدهم على الامساك بتلك الاشياء المقززة .

معظم المجموعات مكونة من عشرة طلاب ، ومجموعتنا كذلك ، لهذا انقسمنا وذهب كل خمسة في سبيل ، ذهبت ولؤي مع اولاؤك الثلاثة ، لم نتفاهم كثيرا ولكننا استطعنا الحفاظ على اخلاق الجماعة .

توغلنا كثيرا في الغابة حتى أبدا الثلاثة خوفهم في كل لحظة نسمع فيها شيئا مريبا ، يبدو انهم ضاقوا درعا بنا ، لأن احدهم قال:

-لماذا تصران على المشي هكذا؟، ربما نضيع بسبب عنادكم .

قلت انا بجفاء :

-لا تخف ، لن تضيع .

ولأنني ولؤي لم نبد أية خوف ، تبعونا دون ممانعة كثيرة بعدها ، سمعنا صوت خرير المياه ، فعرفت ولؤي أن هذا النهر ، وبالفعل عندما وصلنا كان هذا النهر .

ابدا الجميع اعجابهم بما وصلنا اليه ، اما انا فبدأت بالنظر حولي فلعلي اتعرف الى المكان ، فربما اكون ولؤي زرناه من قبل ولا نعرف ، عرف لؤي ما كنت افعله ، فبدا يفعل مثلي ، لكننا للاسف لم نجد شيئا .

[64]اقترحنا عليهم المشي قليلا في اتجاه جريان المياه ، وبدأنا السير دون انتظار الجواب ،

وذهبت اتأمل المكان حولنا ونحن نسير ، فربما وكما قلت سابقا اتعرف على المكان ، بقينا نسير لمدة ليست طويلة ، حتى رأيت شجرة مألوفة ، وقفت مكاني وحدقت بها النظر لثواني ، حتى عادت بي الذاكرة الى ذلك اليوم ، اليوم الذي هجم فيه الخنزير علينا ، نعم ..، هذه الشجرة التي صعدت عليها .

طلبت منهم أن نفترق قليلا ، هم يذهبون من الاتجاه الذي جئنا منه ، ونحن من الاتجاه الآخر ، وقلنا لهم اننا سنلحق بهم ، و من خوفهم وافقوا ، ما دام الأمر يعني اقتراب العودة ، وبعد أن ذهبوا بدأ حديث بيني ولؤي .

قال لؤي :

- ماذا ؟هل تعرفت على المكان ؟
- نعم .
- وما هو ؟؟
- المكان الذي التقينا فيه بالخنزير ، اتذكر؟
- نعم ، وكيف لا اذكره...، ولكن كيف تعرفت عليه ؟؟

اشرت بإصبعي الى الشجرة ، وقلت :

-من الشجرة ..، هذه الشجرة التي تسلقتها في ذلك اليوم .

-نعم ...، وبينما كنت انا اركض .

وأخذَنا حديث الذكريات الجارف، حتى تذكرنا الهدف الذي جئنا من اجله ، وهو الانتقام من هؤلاء .

قال لؤي:

-ماذا سنفعل الآن بهم.. ، هل تملك خطة ؟

وضعت يدي على ذقني وذهب نظري صوب الشجرة ، و بعد مدة قصيرة قلت :

-اتذكر أن احدى الاشجار القريبة من تلك الشجرة عليها حبال ، نستطيع التأرجح عليها وقذف هؤلاء في النهر .

-الا تخاف أن يغرقوا؟

-كلا لا تخف ، مستوى مياه النهر ليس مرتفعاً.

ذهبنا نبحث عن تلك الشجرة ، و بالفعل وجدناها ، وكانت الحبال عليها ، ربما تسأل نفسك ايها القارئ عن كيفية وجود حبال في منطقة معزولة عن الناس ، حسنا ، هل رأيت الحبال التي يستعملها طرزان ، نعم ، هي التي اتكلم عنها ، هي تلك النباتات المتسلقة ، التي تصعد الاشجار... ، فلنعد الى موضوعنا الآن ، قطعت ولؤي حبلين طويلين جدا منها ، وربطناهما على شجرة مطلة على النهر ،وقفنا نتأمل الحبلين قليلا ، بعدها هممنا بالعودة ، وبدأت بيني ولؤي احاديث كثيرة .

قلت انا مبتسما:

-نحن الآن لسنا عائدين الى بيتنا الطيني ، بل الى الخشبي .

-نعم ، كم كانت تلك الأيام جميلة ..، حتى الطعام ، كان ألذ من هذا الذي نأكله الآن .

-افضل أن اقول له طعام الجرذان .

-صدقني ، حتى الجرذان لن تأكله ، وأنا متأكد مما اقول .

-لا..لا ، ليس لهذا الحد .

-اذا كان ما تقول صحيحا ، فسأعطيك خمس عملات .

-اذاً فأنت تتحداني .

-نعم ، اتحداك ، سنقوم بتقديمه الى الجرذان ، فإذا أكلته سأعطيك خمس عملات .

قلت بغرور:

-لا احتاج عملاتك السخيفة ، فأنا وكما تعلم ، شخص ثري .

-وكأني لست ثريا مثلك .

-بلى ...

وبعدها نظرت الى جانب النهر ، ورأيت ضفدعا ، امسكته بسرعة ، ودسسته بجيبي ، رآني لؤي ، فقال:

-اعتقد أن الاولاد سيخافون منه .

-نعم ، لهذا امسكته ، ولأن امساكه حجة غياب قاطعة .

-فعلا ، فقد يتم سؤالنا عن سبب التأخر ، ألا تظن أن وضعه في جيبك قد يقتله .

-هم لم يشترطوا أن يكون الكائن الذي تمسكه حيا .

-صحيح .. ، ولكن ..

-لا تقلق ، لن يموت .

-على اية حال ، سيتقزز منك الاولاد طوال الليل ، وخصوصا وقت الطعام .

-فليفعلوا ما شاءوا ، المهم انني سأغسل يدي .

وجدنا الاولاد الثلاثة جالسين على الارض يائسين من امساك شيء ، فرحوا عندما وصلناهم ، قال احدهم :

-وأخيرا ...، هل امسكتم بشيء.

-نعم .

-وأين هو ؟؟!،انا لا ارى شيئا .

فاخرجت الضفدع من جيبي ، وقربته من وجهه حتى كاد يلمسه ، اتعلمون ماذا حدث

بعدها ، عدنا جميعا الى المخيم ، ولكن اولاؤك الثلاثة سبقونا بخمس وعشرين دقيقة ، مع العلم أن مسافة الطريق لا تستغرق سوى نصف ساعة ، لا اعتقد أن احدهم ركض بسرعة تقل عن خمسين كيلو مترا في الساعة .

وكما توقعت ، كنا الوحيدين الذين احضروا ضفدعا ، ويحملونه بأيديهم العارية ، على أية حال ، أكلنا انا ولؤي العشاء وحدنا ، على طاولة كبير محجوزة خصيصا لنا ..، ما كل هذا الاطراء يا صديقي !!، ألهذه الدرجة يحبنا اولاد المدرسة !، رأيت اولادا فضلوا أكل طعامهم بجانب القمامة ، لكي لا يزعجوننا بالأكل على طاولتنا .

بعد أن انتهينا من الأكل ، اخذت بعض الخبز المتحجر ، ووضعته في جيبي ، سألت لؤي عن مكان يوجد فيه جرذان ، فأخبرني أنه رأى منها بجانب احدى الأكواخ .

ذهبنا الى الكوخ المنشود ، ووجدنا اسفل جداره الخلفي فتحة ، قال لؤي أنه رأى فأرا دخل فيها هذا الصباح ، والآن أنا افكر بحياة الاولاد داخل هذا الكوخ ، لقد كان من الرائع أن تخرج لنا ورقة الكوخ الثامن ، وقد كنت اراها شيئا سيئا .

على اية حال ، لقد رمينا بعض قطع الخبز امام الفتحة ، فخرج منها فأر ، شمها لمدة قصيرة ، ثم تركها ، بدأت اتوتر ، ورميت بقطعة الخبز كاملة له ، وفعل بها ما فعل بسابقتها ، ادركت أن هذا الخبز لا يختلف كثيرا عن الحجارة ، فأمسكت باكبر قطعة خبز ، ورميتها بعصبية على الفأر ، لا اعتقد انه مات ، ولكنه من الواضح انه تأذى ،تأذى.. ضحك لؤي عاليا وبشدة .

استفزتني ضحكته ، لدرجة انني رفعت يدي لأضربه على وجهه فأقلب ضحكه بكاءً ، ولكن..، صدر صوت صياح من داخل الكوخ يقول :[71]

-من هناك ..؟؟!!

بدا وكأنه صوت احد المعلمين ، وبالتأكيد لقد سمع صوت لؤي وهو يضحك ، حسنا ، لا اذكر شيئا بعدها سوى اننا وصلنا كوخنا نلهث بشدة .

في اليوم التالي ، بدأ كل شيء كالمعتاد ، ظننت انهم سيعطوننا نشاطا آخر ، ولكنهم طلبوا منا اكمال نشاط البارحة ، فمعظم الاولاد لم يأتوا بشيء ، اما الذين جاءوا بالمطلوب ، فيمكنهم البقاء ، أو الذهاب مع اصدقائهم ، حسنا ، انتم تعلمون كم انا ولؤي نحب مساعدة الناس ، لهذا ذهبنا مع الثلاثة الذين لم يحضروا شيئا البارحة ، ولو انهم بقوا معنا ، لتم احتسابهم مع الذين احضروا الضفدع ، ولكنهم ، وللأسف ، فاشلوون .

اقنعناهم انا ولؤي بالذهاب مرة اخرى الى مكان البارحة ، وكانت حجتنا اننا رأينا اشيائا يمكنهم امساكها ، ولكنهم طلبوا وعدا مني الا امسك بضفدع ، فقبلت ، للاسف ، كنت اريد القاء

ضفدع على وجوههم بعد أن يقعوا بالنهر ، اما الآن ، فلا استطيع .

ذهبنا الى المكان المنشود ، وبقوا يبحثون حتى تعبوا ، جعلتهم مع لؤي يستريحون في المكان المحدد ، الذي سنوقعهم منه ، وبالتأكيد ، الذي يجلس بجانب النهر ، سيبقى ينظر الى النهر .

قلنا لهم اننا سنذهب قليلا ثم نعود ، وكنا صادقين بذلك ، فسنعود بعد قليل على متن الحبال ، ولأنني ولؤي متعودون على صعود الاشجار ، تسلقنا دون أن نحدث صوتا .

امسكنا بالحبال ، وجعلت اعد بأصابعي ، لكي يراني لؤي ، واحد .. اثنان.. ثلاثة.. هيا ، قفزنا بسرعة وبدأنا بالصياح كطرزان ، سمعونا ، فوجهوا انظارهم نحونا ، وهموا بالهروب ، ولكن بعد ماذا ، استطعت القاء فتحي ، و لؤي بسامي ، اما رزق جاءته ارجلنا ، لأنه كان بينهما ، وهكذا القيناهم جميعا في النهر ، اما انا

ولؤي ، فقد قفزنا الى الضفة المقابلة ، وهذا يحتاج حركة ليست سهلة .

انذهلوا لمهارتنا ، ولكنهم بدأوا بالصياح بعدها قائلين :

-لماذا!!!

قلنا معا:

-لأنكم سببتم لنا المتاعب ...

قلت انا :

-انت يا رزق ، لقد مزقت صفحة كتابي .

-وانت يا فتحي لقد بعثرت اغراضي على الارض.

قال سامي :

-وانا ، ماذا فعلت ؟؟

-انت يا سامي ، لست ساميا ، لقد اعطيت المعلم وشاية كاذبة عنا .

-وكل هذا بسبب غيرتكم الشديدة .

حاولوا الانكار ، ولكننا جعلناهم يعترفون في النهاية ، هددونا بإخبار المعلم وكان ذلك خيطهم الوحيد ، و هل تظنون اننا سنسكت لذلك ، لا.. ،هددناهم ايضا بإخبار المعلم ، بل وقلنا لهم انهم لا يستطيعون ذلك ، لأن المعلمين لن يصدقوا اننا نستطيع فعل هذا ، امسك لؤي بضفدع ، ورماه على وجوههم ، لم تمر سوى ثانيتين ولم ، يكن احد منهم بالجوار .

عدنا انا ولؤي مرة اخرى الى المخيم وحدنا ، ووجدناهم عند الاستاذ ، ظننا انهم وشوا بنا ، ولكن عندما اقتربنا ، وجدنا الاستاذ يسألهم عن سبب بلل ثيابهم ، تحججوا بأنهم وقعوا في بركة ، وألفوا قصة طويلة لذلك .

بعد يومين ، طلبوا الانتقال من مجموعتنا ، وقد بذلوا جهدا كبيرا لذلك ، فقد استطاعوا اقناع ثلاثة فتيان بالمجيء الى مجموعتنا بدلا منهم ، هم : كرم ، قصي ، يامن .

*****

الفصل الرابع
مغامرات الكشافة

بعد ذهاب اولاؤك الثلاثة من مجموعتنا ، شعرت ولؤي بالراحة منهم ، اما الثلاثة فتيان الذين جاءوا بدلا منهم فقد كانوا رائعين ، وقد بدأت تحدث بيننا صداقة حميمة ، بسبب الانشطة التي كنا نؤديها معا .

عندما جاءوا بادي الامر ، لم نعرف انا ولؤي ماذا علينا فعله معهم ، وبقيت العلاقة معهم عادية جدا ، ولكن في احدى النشاطات الترفيهية ، والتي كانت تضمن لعبة ربط ارجل متسابقيّن ببعضهما ، ظننت انه سيتم ربطي مع لؤي ، ولكن كرم اختارني ،و لؤي فقد اختاره يامن ، اما قصي فقد لعب مع احد افراد مجموعة اخرى ، وهكذا بدأت العلاقة بيننا تزداد.

لا احد منهم اكبر منا ، فقصي اصغر منا بسنتين ، وأما يامن فبسنة ، وكرم بصفنا ، ولا تسألوني لماذا لم نكن اصدقاءً من قبل ، فهو موجود في شعبة ثانية ، اتذكر انه كان موجودا في شعبتنا منذ زمن بعيد ، ربما في الصف الثالث ،واعتقد انه هو الذي كان كثير الضحك والمزاح معنا ، على اية حال ، تمت بعدها اعادة ترتيب الشعب ، وافترقنا عنه ، وكما ترون ، هذه مشكلة المدارس الكبيرة ، تبني صداقة مع احد الطلاب ، ثم وفي السنة التالية لا تجده بجانبك ، كل هذا بسببكم يا وزارة التربية والتعليم ، لم نشاهد منكم خيرا منذ التسعينات ، صحيح انني لم اولد وقتها ، ولكن هذا لا يعني عدم وضع اصابع الاتهام عليهم ، ففي كل سنة ، يقومون بتصعيب المنهاج على الطلاب ، .. وهل تراهم يكتفون عند هذا الحد ... لا ، بل يطلبون اشياء اضافية ، مثل الأبحاث ، والوسائل التعليمية ، انا اعتقد أنه وبسبب كثرة السرقة ، لم يعد داخل الوزارة شيء من المال لكي يصنعوا به وسائل تعليمية ، لهذا قاموا بأمر الطلاب بعملها مقابل ثمن بخس

من العلامات ، وهل تظن أن الاهالي احتجوا او ما شابه ...لا ، ما دام الأمر يعني زيادة معدل ابني ولو كلف الامر أن ادفع المال مقابل العلامات ...، اذا طلبت رأيي ، فأنا لا اهتم بالموضوع من الاساس ، لأنه ومهما كان معدلك عاليا ، لن تحصل بسببه على المال عندما تكبر ، ببساطة ، لأن معظم الوظائف محجوزة لأقارب المسؤولين ، ولا تنتظروا مني أن اعمل عندما اكبر ، فهذه الثروة التي وقعت علي ، ستعمل بدلا مني لجلب المال.

على اية حال ، البارحة بدأوا بتعليمنا طرق اشعال النار دون ولاعة ، انتم تعلمون اني ولؤي نعرف اشعال النار دون ولاعة ، من تجربة عيشنا في البرية ، واما بقية الاولاد فلا يعرفون شيئا ، وانا متأكد أن هناك جزء منهم ، غير مسموح لهم في البيت ، اشعال غاز الطهو[78]، او استخدام ولاعة ، فكيف تريدون منهم أن يشعلوا ناراً ، من دون ولاعة حتى.

المهم ، قام احد المعلمين بإحضار عودي حطب جاف وبدأ يحكهما ببعض ،وبعدها بدأ جميع الطلاب بتجربة ما شاهدوه ، وكم كان منظرهم مضحكا ، ترى اولادا بدأت وجوههم وأيديهم بالاحمرار ، والعرق يغطيهم، وآخرون اشتعلوا غضبا بدلا من النار ، وهناك من اقتربوا كثيرا من اشعالها ، و لكن اليأس سيطر عليهم .

اما انا فقد كنت جالسا انتظر دوري في حك الخشب ببعضه ، بدأ لؤي بالمهمة ، وبقي يفعلها حتى تعب ، ثم جاء دوري ، واستطعنا اشعالها.. ، جاء افراد مجموعتنا الباقين ، وعلى وجوههم آثار استغراب واضح ، قال كرم :

-ولكن كيف ؟!!

-الأمر سهل ، ولكنه يحتاج الى الصبر .

قال يامن :

-كذلك قال المعلمون ، ولكن عندما بدأنا بالتجربة ، لم يحدث شيء .

-نعم ، هذا لأنكم لا تتناوبون على اكمالها .

قال قصي :

-ولكن الاستاذ فهمي استطاع فعلها بنفسه .

-هل تقارنون عضلات الاستاذ فهمي المفتولة ، بعضلاتكم الصغيرة .

قالوا جميعا بنبرة واحدة:

-صحييح ...

-نعم ، فالأمر كذلك.

بدأت انا ولؤي بتعليمهم صنعها ، حتى اصبحوا يشعلونها بسرعة دون تفكير ، وهذا ما جعلنا نأخذ شارة اشعال النار امام جميع الاولاد ، من الاستاذ فهمي المشرف على مخيم الكشافة كله ،بصفتنا اول مجموعة تفعلها من المرة الاولى، ما أدى الى إثارة حفيظة الاولاد .

بقي الاساتذة يعلمون الاولاد لمدة يوم او يومين بعدها ، ما اعطانا فسحة جيدة من الوقت.

اقترحنا عليهم انا ولؤي الذهاب خلالها الى الغابة ، وافقونا الرأي ، انا اعتقد انهم لم

يكونوا يملكون أي فكرة عن ما سنفعله بالغابة ، فبعد أن بدأنا نتعمق فيها ، بدأت مخاوفهم تظهر ، قال يامن :

-أليس من المفترض ألا نتعمق في الغابة ، اخاف أن نضيع .

-لا تخف ، انا وانيس أتينا هنا من قبل ، فمن أين تعتقد اتينا بالضفدع .

قال قصي:

-حسنا ، هذا يطمئن .

بقينا نسير حتى وصلنا الى النهر ، تفاجأ الثلاثة من وجود النهر ، وأبدوا اعجابهم الشديد به ، قال كرم معاتبا :

-لماذا لم تخبرونا بوجوده ، سيفرح اولاد الكشافة بذلك .

-اذا قلنا ، لن يسمح لنا المعلمون بالذهاب مرة اخرى .

-ما رأيك أن نقول لهم قبل عودتنا الى البيت بيوم ، هكذا سيحضر جميع افراد الكشافة .

-لا مانع عندي .

قمنا بعدد من النشاطات الترفيهية هناك ، فقد صعدت انا ولؤي الى الشجرة التي رمينا من خلالها اولاؤك الثلاثة الاوغاد في النهر ، واستعملنا الحبال في صنع ارجوحة ، حسنا لم تكن ارجوحة بحق ، ولكنها كانت جيدة بعض الشيء ، الى أن صعد لؤي وكرم وقصي على متنها دفعة واحدة ، لا اعتقد انها اكملت معهم دورة كاملة حتى اصبحوا جميعا في النهر ، لا اعلم كم الغباء الذي في عقول هؤلاء ، خصوصا يامن ، الذي وضع نفسه امامهم ، ما ادى الى سقوطه في النهر ايضا ، و لحسن حظهم اننا لا نزال في وقت الظهيرة ، ما ادى الى جفاف ملابسهم تقريبا .

بدأنا نشعر بالجوع من كثرة اللعب ، قال كرم أنه يجب علينا العودة الى المخيم لكي نأكل ، ووافقه الجميع الرأي ، ضحكت من كلامهم بشدة[82]، وبدأت اشير الى النهر ، وقلت :

-لماذا نقطع كل هذه المسافة من اجل طعام لا تأكله الجرذان ، ها هو الطعام امامكم .

فهم لؤي ما قلته ، اما الثلاثة لم يفهموا ، وقالوا ان هذه مياه وليس طعام ، فقال لؤي باختصار ، مبديا فرحه:

-سنصيد السمك .

قال يامن :

-ولكن كيف ، لا يوجد شبكة ولا اي شيء من هذا القبيل ، وهل تعرف كيف سنأكله ؟

قال لؤي فخورا بنفسه:

-انتم لا تعرفون شيئا ، اما انا وانيس ، فلدينا خبرة طويلة في هذا المجال .

حسنا ، اهنئه على كشف سرنا ، واذا فعلا تسبب هذا في كشف امرنا ، لا تعتقدوا أنني سأتحدث معه مرة اخرى في حياتي .

على اية حال ، لم يسألنا الاولاد عن سبب خبرتنا بعد اجابته ، و كان هذا من حسن حظه، والا لكنت لا أُلام على ما سأفعله به .

بدأنا انا ولؤي بصيد السمك اولا ، بعدها بدأوا بتقليدنا ، انا عن نفسي ، استعملت قميصي كشبكة ، اما هم فقد استعملوا ايديهم بدلا من القمصان ، بقي الثلاثة يحاولون ولمدة طويلة الامساك بسمكة ، ولو كانت صغيرة ، في النهاية ، استطاع كرم الامساك بواحدة ، ولكنه وفور رفعه لها من الماء ، لطمته السمكة لطمة اعتقد انه نسي والديه بسببها ، بقي يهلوس لثوانٍ عديدة ، وبعد أن افاق على نفسه ، كانت السمكة اسفل النهر ،و لولا أن ذاكرة السمك لا تدوم لأكثر من دقائق ، لذهبت تلك السمكة تحدث صديقاتها عن مستوى غباء البشر هذه الايام ، ويمكنني تخيل ما سيدور بينهن من كلام ، حسنا، ما حدث قبل قليل ادى الى اعلان ابطالنا الثلاثة استسلامهم ، وقاموا بإجراء قرعة بينهم على من هو الذي سيخسر جفاف قميصه ، ذهبت القشة القصيرة من نصيب قصي ، حاول التهرب بادئ الامر ، لكنه في النهاية خضع للأمر الواقع ، وقتها ، كنت ولؤي قد شوينا اسماكنا واكلناها وها نحن نتمدد للراحة، ولمّا

بعد يصطد اولاءك الثلاثة شيئا ، حسنا ، وجب الامر نزول الابطال الى النهر كي يساعدوا رفاقهم ، طلبت من كرم اعداد النار ، ريثما نأتي بالاسماك ، وقد تفاجؤوا من سرعة امساكنا لها ، لدي خبرة سنة في هذا المجال ، فلم الذهول !!.

عدنا الى المخيم قبل حلول الظلام بقليل ، ورأينا نيراناً كثيرة تحيط به ، ظننت للوهلة الاولى أن المخيم يحترق ، ولكني تذكرت أن الكشافة ما زالوا يتعلمون اشعال النار من دون ولاعة .

*****

في الايام التالية قاموا بتعليمنا اشياء كثيرة ، من اجل الامتحان العملي الذي سيقام في آخر الشهر [85]، هناك اشياء تمنيت أنني تعلمتها قبل الذهاب مع لؤي الى الغابة قبل سنتين ، مثل كيفية عقد

العُقد بأشكال مختلفة ، وقاموا ايضا بتعريفنا على بعض النباتات السامة من خلال اطلاعنا على بعض الصور المأخوذة من الكتب، لقد عشت سنة كاملة في الغابة ،وأنا لا اعتقد انني رأيت أيا منها ..، وفي بعض الايام ، كانوا يعطوننا اياه عطلة ، مثل يوم الجمعة ، فقد كان احد المعلمين يصعد على درج احد الاكواخ ، او بالاحرى هو كومة من الخشب المهترئ ، ويقوم بخطبة الجمعة من عليها ...، ماذا؟! ، هل كنتم تعتقدون اننا لا نصلي.

على اية حال ، فبعد اول وجبة سمك مشوي لنا ، اصبحنا نذهب هناك بشكل يومي تقريبا ، تهربا من تلك الوجبة البشعة الموجودة هناك .

لم اكتفي انا ولؤي بهذا القدر ، فلأننا نعرف المكان جيدا ، قررنا الذهاب معهم الى اشجار الفاكهة ، تظاهرنا بأننا قد مللنا الجلوس بشكل يومي على ضفة النهر ، ونحن الآن ذاهبون

للبحث عن شيء جديد يكسر الملل ، كان الطريق كما هو ، حتى كومة الاحجار التي تركتها بجانب احدى الشجرات موجودة ، رآها احد هؤلاء الاولاد ، فقال بخوف :

-انظروا ، من المستحيل أن هذه الحجارة ، كومت بعضها على بعض بنفسها .

وجراء كلامه هذا ، ابدا الجميع مخاوفهم ، حتى لؤي ، يال ذلك المغفل ، لم أكن اتوقع ان يكون معهم ، قلت بسرعة ردا على كلامه :

-وهل كنت تعتقد اننا البشر الوحيدون الذين جاءوا هنا ، ربما حدث هذا قبل سنتين .

وبعد تلميحي الاخير ، عرف لؤي ما كنت ارمي اليه ، حتى انه قام برفع ابهامه ، مؤكدا على ذلك ،.. وجدنا الفاكهة بعد دقائق من المشي ، وكم ابدى الاولاد اعجابهم الشديد بها ، قال يامن:

-إن هذه المنجا الذ من التي نشتريها .

- طبعا ، ستجد تلك التي في الاسواق ، مدعمة بالهرمونات ، و وقد تم التعامل معها بأسمدة ومبيدات كيميائية ، اما هذه ، فطبيعية .

وعلى ذكر الاسمدة ، هل تذكرون طعام المخيم البشع ، حسنا ، كان يطلب المعلمون منا وضع فضلات الطعام داخل احدى الدلاء ، كنت اظن انها سلال قمامة ، لكنهم فاجأوني بعد عدة ايام ، بوضعها امام الطلاب ، طلبوا من كل مجموعة أن تصنع منه سمادا ، كنت اظن أن الموضوع يقتصر على خلط جميع المواد ببعضها ثم نترك الامر للطبيعة كي تستفيد منها ، هذا ما كنت اظن ، اما الحقيقة فهي مرة ، وضع الاستاذ امامنا لائحة مهام طويلة من اجل تجهيز السماد العضوي ، وصدقوني ، انتم لا تريدون معرفة ذلك ، والمشكلة الاخرى أن الامر يستغرق وقتا طويلا ، على اية حال ، انا متأكد اننا سنعود الى البيت ولمّا ينتهي اعداد ذلك السماد بعد ، وهكذا ، لا يمكنكم لوم المزارعين على استخدامهم الاسمدة الكيميائية .

فلنعد الى موضوعنا ..، لقد بقي حال الفاكهة والاسماك لعدة ايام ، حتى اننا بدأنا بتهريب الفاكهة الى المخيم ، للاستعاضة بها عن ذلك الطعام ، باستثناء فاكهة الخبز ، لأن اعدادها سيفضح امرنا ، لهذا كنا نأخذ معنا بعض القطع الجاهزة منها في بعض الاحايين .

بقي اسبوع ، وسنعود بعدها الى بيوتنا ، آمل أن يكون ابي قد نسي الموضوع الذي أتيت من أجله الى هنا ، أما اذا لم ينسه ، فلا اعتقد انكم ستحبون الذي سيحدث بعدها ، على اية حال ، انا الآن جالس بجانب لؤي ، في احدى السهرات التي كنا نقيمها في المخيم .

- اتعلم شيئا يا انيس ، لقد اقتربت عودتنا الى البيت .
- نعم ، لقد استمتعنا كثيرا .

- ولكن بقي شيء لم نفعله بعد يا انيس ، لماذا لا نذهب الى بيتنا الذي بنيناه في الغابة ، فنحن نعرف مكانه .
- والاولاد ؟، ماذا سنفعل بهم ؟
- لا شيء ، لم تظن أن الاولاد سيشكون في امرنا ؟
- لأن ابي يشك في صدق قصة اختطافنا .
- كيف!؟!، لماذا لم تخبرني ؟؟
- لا اعرف ، ولكن هل تذكر الخنزير الذي قتلناه ؟
- نعم ، ما به ؟
- لقد دخلت دمائه في اسطبانة المسدس ، وبقيت هناك حتى قام ابي بتنظيفه .
- ولماذا لم تقم بتنظيفها ؟؟
- وما يدريني انها دخلت هناك !!
- والذي أكد شكوكه ، نقص الرصاصات .
- ولكن ما الذي جعل اباك يعرف انها دماء ، ربما تكون شيئا آخر .
- ابي يعمل بالمشفى ، وصديقه يعمل بمختبر فحص العينات ، لذا قام بإعطائه عينة من

الدماء ليقوم بالتعرف عليها ، ولأن هذا المستشفى له حالات سابقة في فحص انفلونزا الخنازير ، استطاعوا تحديد نوعية الدماء .

- هكذا اذا ... ، وما الذي علينا فعله الآن ؟
- لماذا بظنك اتيت الى هذه الرحلة ؟
- لهذا اذا .... ، نعم .. فهمت الآن .

في النهاية ، ورغم كل هذا الحديث ، قررنا الذهاب الى بيتنا الطيني ، بالنسبة لي ، انا لا اعتقد انه سيكون خاليا من الناس ، لأنه وكما تعلمون ، ظهرت صوره في التلفاز .

وفي اليوم التالي ، ذهبنا الى الغابة ، ولما وصلنا النهر ، غيرت انا ولؤي اتجاهنا ، فبدلا من الذهاب تجاه اشجار الفاكهة التي اعتاد الاولاد الذهاب اليها ، ذهبنا تجاه بيتنا القديم ، استغرب الاولاد كثيرا من هذا التصرف ، وقد قال كرم :

- اشجار الفاكهة من هذا الاتجاه ، فلم تسلكان الاتجاه المقابل .
- سنذهب للبحث عن اخرى ، في مكان آخر .
- آه... نعم ، ظننت أن هناك شيئا ما .

وهكذا يا اصدقائي ، استطعنا الاحتيال عليهم بالذهاب معنا الى بيتنا .

مشينا كثيرا هذه المرة ، وقد ابدا الثلاثة تململاً من الموضوع ، قال قصي انه مكتفي من الفواكه التي وجدناها ، بينما قال يامن أنه من المستحيل أن نجد فاكهة في هذا المكان ، و قد كان كلامه صحيحا ، فأنا مشيت طول هذه الطريق مرات عديدة ، ولم يكن فيها شيء يؤكل ، على أية حال ، لقد اقتربنا من كثيرا من البيت ، ولن اسمح لهؤلاء الذين لا يفكرون سوى ببطونهم بإعاقتي ، ويبدوا أن لؤي كان مثلي ، مصمما على الذهاب الى البيت الذي بنيناه بأيدينا .

عندما وصلناه ذهل الجميع من المنظر ، انتم تعرفون سبب ذهول الثلاثة ، اما انا ولؤي فلا

اعتقد أنكم تعرفون ، حسنا ، سأخبركم ، لقد كان شريط الشرطة الاصفر يلتف حول المكان ، و عبارة "ابق بعيدا " موجودة عليه ، نسي الجميع امر الفاكهة ، وانصب الاهتمام على البيت ، بدأ قصي بالسؤال قائلا :

-ما هذا ؟.

اجبته انا :

-منذ سنتين ، وجد رجال الشرطة هذا البيت ، وقد كان حوله جثتين ..(لم اكمل كلامي ، لأن الجميع عدا لؤي بدأوا يتلفتون حولهم ، ويصيحون بذعر :

-جثتين!!!)

- نعم جثتين ، لما كل هذا الخوف؟؟

لم اتوقع أن احضر معي مجموعة من الفئران ، هذا ماذا لو شاهدوا الخنزير البري ، لا اعتقد أن احدهم سيتذكر وجود الآخر ، وسيركض دون توقف ، و حدوث عاصفة في احدى السراويل شيء مؤكد.

على اية حال ، اكملت كلامي غير مباليا بمخاوفهم ، وقلت :

-وجاء في تقرير الشرطة ايضا ، انهم وجدوا ممرا تحت الارض يذهب مباشرة الى داخل هذا البيت ، ما رأيكم أن ندخله ؟

فقال كرم بارتباك :

-هل هذا ضروري ؟؟

لم اكد ارد على جوابه حتى قال لؤي بحماسة :

-نعم ، هيا ندخله .

تظاهرت انا ولؤي بأننا نبحث عن المدخل ، ولا اعرف إن نفعت هذه التمثيلية ام لا ، لأنه وفور تقدم قصي الى الامام ، قال :

-ها هو الباب ، لم كل هذا البحث والباب موجود امامكم بشكل ظاهر ؟؟

ارتبكنا قليلا من كلامه ، ثم قلت بسرعة :

-يبدوا اننا لم نره ...

اعترف أن دخولنا الى البيت كان صعبا بعض الشيء ، باستثناء قصي ويامن، فإما أن النفق قد ضاق ، او أن حجمي ولؤي اصبح كبيراً ، طبعا ، من المستحيل انني اصبحت سمينا ، لهذا فإن الاحتمال الوحيد هو أن النفق تقلص وضاق .

كنت اتساءل عن كيفية دخول رجال الشرطة الى المكان ، ما دام النفق لا يسعهم ، ولكن جميع تساؤلاتي ذهبت عندما دخلت المكان ، فقد قاموا بهدم السقف والدخول منه .. ، يا رجل ، لماذا السقف !! ، فقط لو يعرفون كم الجهد الذي طالنا انا ولؤي عندما كنا نبنيه ،على أية حال ، انا لا اعيش فيه الآن ، ثم انني طلبت من المجموعة بناء سقف خشبي ، بناءً على نشاط تعلمناه ، يقضي ببناء خيمة او شيء لا استطيع معرفة ماهيته ، اهو مظلة ام نصف خيمة ام كوخ بدون جدران ولا اعمدة ... ،حسنا ، اعتقد أن الفكرة وصلتكم ، على اية حال، لقد قوبل طلبي بالرفض ،قال الثلاثة أن الامر لا يعنيهم ،

اما لؤي فلم يرد اتعاب نفسه ، آمل الآن أن يكونوا فرحين بإحراجي بهذا السقف المهدم امام الناس اذا تم كشف امري ، ولا اعتقد أن يكون لؤي اقل حرجاً مني ، فاذا قابلوني اعلاميا ، وتم سؤالي عن كيفية عيشنا تحت هذا السقف ، فلن اتردد لحظة واحدة في القاء اللوم على لؤي ، و حقيقةً ، انا الآن افكر بحجة مقنعة تضع كل هذا اللوم على لؤي .

عموماً ..، بقي ايام على الامتحان العملي ، و انا متأكد أن كتلة الخشب المسطحة التي سيصنعونها ، ستتحول الى قطع فور مرور نسمة هواء عليها ، وعلى هذا ، يمكنكم الآن معرفة سبب رفضهم لبناء سقف من الخشب ، ليس لأن الامر لا يستحق ، بل لانهم مجموعة من الفشلة في هذا الموضوع اصلاً.

ومرت عدة ايام علينا بشكل اعتيادي عادي معتادٍ جدا جدا ، و أرجو أن تعلموا أن كلامي

صحيح بنسبة تسع وتسعين فاصلة تسعة في المئة ، والواحد من المئة في المئة المتبقي ، كان قدر اختلاف مواعيد النوم فقط ، ربما تشكك يا صديقي القارئ في مصداقيتي ، ولكني اؤكد لك انني مواطن صالح ، ولم اؤذي احدا منذ يوم ولادتي قيد انملة ، وانتم تشهدون على ذلك .

*****

اليوم هو آخر يوم لنا في مخيم الكشافة ، في البارحة ، سألنا المعلم عن امكانية ذهاب جميع طلاب الكشافة الى النهر ، كنت اتوقع انه سيرفض ، وفعلا ..هذا ما حدث ، ثم انه قال انه لا يعرف شيئا عن الغابة ، وهذا ما يجعلني اعيد التفكير بصحة القصة التي اخبرنا فيها انه وعندما كان صغيرا ، كان معسكر الكشافة في الغابة ..، على أية حال ، ها انا جالس ، وامامي مجموعة من الحمقى يحاولون وضع خشبتين

فوق بعضهما على الاقل ، حسنا ، لكنت الآن معهم لو أن امتحان الكشافة يهمني ، ولكن لا .. ، لا يهمني ، وكما تعلمون ، فقد جئت الى هنا فقط للتهرب من والدي ، وليس من اجل تعلم اشياء بدون قيمة ، فمن يحتاج تعلم اشعال النار بدون ولاعة ، و في هذا العصر يتم التفنن في صنع القداحات ، على الاقل ، فمهما كانت هذه الاشياء بدون قيمة ، تبقى افضل من تعلم ذلك الكلام الفارغ في المدرسة ..، عموماً ، لو أن هؤلاء وافقوا على بناء سقف البيت مرة اخرى ، لوافقت على مساعدتهم ، ويمكن هكذا تطبيق المثل القائل "الدنيا دوارة ".

وبينما كنت جالسا مبتسما لحال هؤلاء ، اوقع السيد المحترم كرم ، خشبة على السيد الأكثر احتراما منه لؤي ، كنت اظن انهما محترمان ، وستعرفون أن كلامي صحيح بعد أن تسمعا ما دار بينهما من كلام لائق جدا .[98]

بعد أن وقعت الخشبة على لؤي ، قال :

-ماذا فعلت أيها الحمار الأبله ال...، ألا تعرف أين تضع أغراضك ؟!

-من الحمار الأبله ، أيها الحمار الوحشي المجنون .

...

أؤكد لك عزيزي القارئ انني اعرف سلالات كثيرة من الحمير ، ولكن بعد الذي سمعته منهم ، عرفت أنني جاهل جدا بهذا الموضوع ، فمثلا ، لقد سمعت لؤي يقول له " أيها الحمار القبرصي" وهذا نوع جديد يضاف الى قائمتي الطويلة منها ، ... ، بدأت الآن افكر في صحة ما يقولانه ، خصوصا بعد أن قال كرم " أيها الحمار البقري " ، لا اعرف ما يعنيه بهذا ، ولكن ربما يكون قصده عن ذلك الحمار الذي يتم ذبحه ، وتقديمه على انه كباب بقري ممتاز ، وهذا ما يعطيني فكرة عن أول مشروع سأقوم ببنائه عندما أكبر .

كان كل شيء جاهزا لما جنّ الليل ، و لم يبقى أي شيء سوى انتظار حضور الاستاذ ، ورؤية ما فعلناه ، لم تمر سوى دقائق عديدة ، حتى كان الاستاذ فهمي موجودا ، اعتقد أنه اعطانا علامة جيدة ، الا في بناء ذلك الشيء الخشبي ، للوهلة الأولى لم يعرف ماهيته ، حتى اقترب منه وقال :

- ما هذا ؟!!

ولم يكد يلمسه ، حتى اصبح البناء كومة خشبية مستوية على الارض ، ويبدوا انه لم يعطهم شيئا من العلامات عليه ، لأنني رأيتهم يرجونه بشدة .

عموماً ، غدا سأعود الى البيت ، ولن ادع هؤلاء المجانين يعكرون صفو مزاجي ،

*****

عدنا الى البيت ، وتم استقبالنا ، المهم ، هو ان ابي نسي ذلك الموضوع ، وهكذا لم يكن ذهابي الى هناك من دون نفع ، ومرت الايام وعادت الحياة كما كانت ، الى أن جاء حفل توزيع الجوائز ، ابي لم يأت الى معظم حفلاتي المدرسية ، ولا ادري ما الذي جاء به الآن ، اجتمعت جميع المجموعات مع بعضها ، المشكلة أن الآباء يجب أن يكونوا موجودين معنا ، وهذا ما أدى الى كلام كثير جدا بين الآباء ، عن اشياء كثيرة ، وانا متأكد أن معظمها عن السياسة ، وبعد الذي سمعته منهم ، بدأت افكر في سبب اضاعة قنوات الاخبار للمال على محللين سياسيين يملكون شهادة جامعية ، بدلا من الطلب من احد رجال العامة الظهور بدلا منهم ، بثمن قليل ..، نعم ، انهم اشخاص مبذرون .

في النهاية ، دار بينهم حديث جعل قلبي يخفق بشدة . قال والد قصي موجها الكلام الى ابي و والد لؤي :

-أخبرني قصي عن براعة انيس ولؤي في صيد السمك ، والحياة البرية بشكل عام .

فقال والد يامن موافقا على رأيه :

-نعم ، اخبرني يامن بحديث يشابهه ، فلقد تعلم كثيرا منهما .

و بالتأكيد والد كرم لم يسكت ، و بدأ والد لؤي يتباها بذكاء ابنه وما شابه ، اما ابي فقد بقي صامتا ..، نظرت الى لؤي فوجدته مزهوا بحديث ابيه ، اتظنوني سأتركه على هذا الحال من دون أن اعكر مزاجه ،لهذا قرصته ، ولم يكد يدر وجهه نحوي حتى اشرت له بالنظر نحو ابي ، و من تعابير وجه لؤي ، عرفت انه عرف ما ارمي إليه ، ولا اظن أن ابي أعاد هذه النظرة مرة اخرى لعدة ايام .

*****

اتذكرون يوم قلت لكم انني سأعرف سبب جلوس لؤي عند النافذة دائما ، حسنا ، لقد عرفت ذلك البارحة ، فعندما كنت عنده في بيته بشكل عادي ، وبينما كنا نتحدث داخل غرفته ، أدار كرسيه صوب النافذة وبدأ يتأمل ، اتعلمون ، لقد أثار هذا التصرف المفاجئ فضولي كثيرا ، فذهبت الى النافذة ونظرت منها ، اتعرفون ماذا وجدت ..، لقد رأيت فتاة تشابهنا في السن .

لم اتخيل يوما أن صديقي عاشق ، وهل تظنون أنني سأسكت ، لذا قلت بسخرية .

-ما هذا أيها العاشق الولهان .

كنت اظن أنه سيغضب ، ولكنه رد علي ببساطة:

-كما ترى عيناك .

-اوليس هذا حراما ؟؟

- سأتزوجها على أية حال .

- و هل هي تعرف .

-لا .

- اذاً ، عليك أن تقدم شيئا لها ...

نصحته بأن يقدم لها باقة أزهار ، ولكن الأزهار أصبحت يابسة في هذا الوقت ، ثم قلت له أن يُقدم لها ضمة نعنع تماشياً مع تلك الأغنية ، ولكن النعنع في بيتنا قد اصابه الدود ، لهذا قلت له أن عليه الذهاب الى المكتبة في آخر الشارع ، واحضار ورق ملون بالأحمر ، ليصنع منه قلبا احمر ، ولكن من المستحيل أن تجد ورقا ملونا في تلك المكتبة ، لأنه وفي كل مرة تذهب الى هناك وتطلبه ، يقول لك صاحب المكتبة كلماته المعتادة " آسف ، لقد نفذ من عندنا " وهذا ما يجبرك على شراء شيء آخر ، في النهاية ، انتهى كلامي على اعطائها ضمة من البقدونس ..، وتخيلوا أنه رفض ذلك بشدة.

يا رجل!!، هل يظن هذا الفتى انه يعرف النساء اكثر مني ، فلا يوجد شيء يحضره ابي من

محل البقالة يفرح امي اكثر من البقدونس .. ، ولا اعرف سبب تضييع معظم الناس اموالهم على اهداء حبيباتهم الشكولاتة الفاخرة ، أو الثياب الجميلة ، أو الهواتف الحديثة ، واذا لزم الأمر ، فهم يبددون جميع اموالهم لشراء سيارة فارهة لها ..، لماذا كل هذا الغباء، فضمة بقدونس تكفي وزيادة .

عموماً ، اذا قدم لؤي لها ضمة بقدونس ، فهذا يعد انتقاصا من قيمة البقدونس.

في الأيام التالية ، تنامى لدي شعور غريب ، فلماذا ابي ارتاب بأمري يوم الاحتفال ، ثم لم يراجعني بالموضوع ولو بكلمة ، هناك احتمال واحد ، هو أن ابي سيفاجئني بسؤال مباشر ، لا استطيع التهرب منه ، لهذا ذهبت الى لؤي لأحدثه بالموضوع .

-اسمع يا لؤي ، انا اشك بأمر ابي ...

- انت تقصد ذلك الموضوع ، أليس كذلك ؟!

- نعم هو ، وأنا في حيرة من امري .

- من نظري ، عليك نسيان الموضوع.

-لا ، انت لا تعرف ابي .

-حسنا ، افعل ما شئت .

-على اية حال ، قم بإعداد حقيبة فيها جميع الأشياء الضرورية ، وسنسميها حقيبة المغامرات.

- "حقيبة المغامرات " ، اسم جميل ، ولكن لماذا؟؟

- هناك في أي لحظة سأتصل بك وأقول " لقد كشف امرنا ، هيا نهرب "

-نهرب !!!

-نعم ، هل تظن انك ستسلم من أحد ، حتى لو لم يدر المجتمع الخارجي ، سنلقى أشد العقوبات من الأهل ، ناهيك عن الاحراج الشديد .

-حسنا ، ولكن الى أين ؟؟

-لا عليك ، سنذهب الى مكان من المستحيل ايجادنا فيه.

بعد انتهاء الحديث عدتُّ الى البيت ، ومرت عدة ايام بشكل عادي ، حتى انني ظننت أن الامر مثلما قال لؤي .

ولكن ، حدث ما كنت اخشاه ، فعندما كانت العائلة على طاولة العشاء ، بدأ ابي بالكلام وقال بشيء من الغضب:

-حسنا يا انيس ، أين كنت قبل سنتين .

تظاهرت بالغباء ، وقلت :

-في البيت ، أين سأكون اذا !!!

اعلم أن هذا الجواب لن يفعل شيئا ، ولكنه يفيد في اطالة النقاش ، قال ابي :

- ألم تكن مخطوفا قبل سنتين ؟؟

تظاهرت بالتفكير ، وقلت :

- بلى ..

- ولكنك لم تكن كذلك .

بقيت امي ساكتة ولا ادري لماذا لم ترد ، اما انا فلم يبقى امامي غير شيء واحد ، فقلت :

- اذا كنت تشكك في امري ، فسأصعد الى الاعلى وأحضر شيئا يقلب تفكيرك .
- حسنا ، لا تتأخر .

بالتأكيد استبعدا هروبي ، لأنه من المستحيل أن اقفز من الطابق الثاني ، ولست مجنونا حتى افعل ذلك .

دخلت غرفتي ، واقفلت الباب ، ثم ذهبت وأجريت مكالمة سريعة مع لؤي ، وبعدها ذهبت الى الحاسوب ، وأجريت محادثة مع المؤلف ، ثم ذهبت الى الخزينة ، وأخرجت كيس المجوهرات ووضعته في الحقيبة .

*****

وهذه القصة الكاملة يا اصدقائي .. ، واخيرا .. ها قد وصلت الرسالة ، طبعتها ، ثم وضعتها في الحقيبة ، و أما عن كيفية هروبي ، فقد استعملت انبوب صرف مياه الامطار الذي يمر بجانب شباك غرفتي ، وتزحلقت عليه ، و اذا كنتم تريدون مراسلتي ، فللأسف وكما تعلمون ، انا لا استطيع فتح حسابي الآن ، لذا ارجو منكم ترك تعليقات جيدة على كتابي ، وإياكم التعليق على كتاب المؤلف ، فأنا متأكد انه سيعايرني بها ، و طبعا انتم تعرفون انني سأفعل معه نفس الشيء ، على اية حال ، اعتقد يا اصدقائي أن عليكم عذري الآن ، فأنا لدي موعد عند النافورة القديمة .

****

لا اريد أن اكتب النهاية ، لانه ما تزال هناك اجزاء عدة .